

العصيل بابل

أوهام الموساد .. وحقيقة أشرف مروان



... AGAIN JUST PRIOR TO HIS DEPARTURE ON 15 AUGUST. THE SERVICE ATTACHED AND ANDERSON (DID SALES) HAD SEVERAL DISCUSSIONS WITH ...
... ANDERSON AND I ALSO HAD ...
... ANDERSON ON 15 AUGUST WAS ATTENDED BY ...
... HANAN FOR ANDERSON ON 15 AUGUST WAS ATTENDED BY ...
... THE DIRECTION OF THE MILITARY INTELLIGENCE AND OTHER ...
... THE EGYPTIAN AIR FORCE, THE GENERAL COMMAND (THE EGYPTIAN ...
... THE EGYPTIAN AIR FORCE, THE GENERAL COMMAND (THE EGYPTIAN ...
... THE EGYPTIAN AIR FORCE, THE GENERAL COMMAND (THE EGYPTIAN ...



عصام عبد الفتاح



أشرف مروان



دمشق - القاهرة

الرجل الذي زلزل عرش الموساد

العميل بابل

■ سيبقى أشرف مروان .. وإلى حين .. هو أكبر علامة استفهام فى التاريخ السياسى والمخابراتى لما بعد أكتوبر ١٩٧٣ .. وما بين وصفه بأنه كان أكبر خائن عرفته مصر عبر تاريخها .. ورجل يستحق نهاية تناسب جرائمه التى لوشت يديه بدماء شهداء الوطن الذى خانه وباعه بحفنة دولارات .. أو وصفه بأنه كان بطلا وطنيا علينا أن نفخر جميعاً به وكان أحد أهم أسباب انتصار أكتوبر المجيد .. ستبقى الحقيقة تبحث عن طاقة نور تخرج للرأى العام من خلالها .. وإلى هذا الحين ستبقى هناك أسئلة أخرى حول المعلن وغير المعلن من ملف العميل بابل .. وكيف لقى مصرعه فى لندن بهذا الشكل الدرامى .. وما بين احتمالات الوفاة .. ورحلة صعود وسقوط أشرف مروان .. ستبقى أصابع الاتهام تشير إلى (المخابرات الإسرائيلية) .. كيف .. ولماذا .. وماهى أسباب ذلك .. وشواهد .. هذا ما نحاول الإجابة عنه عبر صفحات هذا الكتاب.

W.Salama 010 15 17 873

I.S.B.N. 977-376-338-2



9 789773 763381



العميل بابل

الرجل الذي زلزل عرش الموساد!!

اسم الكتاب: العميل بابل .. الرجل الذى زلزل عرش الموساد

اسم المؤلف: عصام عبد الفتاح

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٣٦١٢ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-338-2

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا



تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبي - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد - ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفستال - فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثاني - ت: ٢٢٢٣٧٣

تحذير:

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتاب العربى للنشر وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو أى جزء منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد اليكترونية أو نقله بأى وسيلة أخرى أو تصويره أو تسجيله على أى نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

حقوق الطبع
محفوظة

الطبعة الأولى
٢٠٠٨



سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦ / ٥٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب. ٣٠٤٣ الشويفات

E-mail: darkitab2003@yahoo.com - daralkitab-nassif@hotmail.com

العميل بابل

الرجل الذى زلزل عرش الموساد

أوهام المخابرات الإسرائيلية..

وحقيقة أشرف مروان

◆
عصام عبد الفتاح

◆
الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

إهداء

إلى وطنٍ لا نزايد عليه ..
وشهداء رووا بدمائهم الغالية ثراه ..
وعيون يقظة جعلها الله عزَّ وجل سرَّ أمانه
أُهدى هذا الكتاب...

عصام عبد الفتاح

مُقَلَّمَةٌ

استيقظ العالم ذات يوم على صور أشرف مروان وأنباء مصرعه وهما يتصدران كافة وسائل الإعلام من صُحُفٍ وقنوات فضائية .. كان الرجل قد لقي حتفه .. بشكل مفاجئ .. وبصورة أُلقت بظلال كثيرة من الشكوك حول تلك الوفاة الغامضة .. كان قليلون فقط هم الذين يعرفون الرجل .. أما الغالبية العظمى فقد أخذوا يتساءلون: من هو أشرف مروان ؟! ذلك الرجل الذى وصفوه بأنه أكبر علامة استفهام فى التاريخ المخبراتى لما بعد يونيو ١٩٦٧ ..

وهذا الكتاب هو محاولة للإجابة عن هذا السؤال .. وأسئلة أخرى كثيرة أحاطت كستائر سوداء بحياة رجل كان عالمه الخاص غامضاً .. مثلما كان هو نفسه أكثر غموضاً .. فبقى الكثير من ملامح حياة أشرف مروان غير معلن .. ربما لطبيعته الشخصية .. أو لأسباب خاصة به .. فقد كان مبدأ طيلة حياته "ألا يعرف أسرار أشرف مروان سوى أشرف مروان" .. ولا يحتفظ بأسرارته المالية أو التجارية فى "فولدر" سرى بجهاز الكمبيوتر الخاص به .. أو على ديسكات .. أو خزائن سرية .. إنما كل ذلك كان محفوظاً فقط فى عقله ومفكرة صغيرة يحتفظ بها دائماً فى جيبه ..

ويتساوى الأمر فى غموضه سواء فيما يتعلق بتفاصيل حياته قبل مصاهرته الرئيس الراحل عبد الناصر .. وقبل دخوله بؤرة الأحداث ودائرة الضوء .. أو فيما تلا ذلك من مراحل حياته .. مما أعطى الفرصة للبعض من أعدائه (وما أكثرهم) أن يروجوا حوله العديد من الشائعات والأكاذيب .. بشكلٍ اختلطت فيه الحقيقة بالكثير من الادعاءات ..

.. ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

مسلمات وحقائق .. !!

وهناك مسلمات وحقائق هامة ومؤكدة فى ملف أشرف مروان ..

فلا شك أنه كان يعمل بتجارة السلاح .. بل كان أحد أبرز أباطرة هذا العالم الخفى ..

ولا شك أنه كان يتمتع بنفوذ وعلاقات سياسية مع العديد من رؤساء وملوك العديد من الدول العربية والعالمية والعديد من أجهزة المخابرات .. بشكل غير مسبوق ..

ويقيناً أنه استغل كل هذا ليرسب به دعائم ما نستطيع أن نسميه امبراطوريته الخاصة .. التى تجاوز حجم أعمالها المليارات ما بين أصول ثابتة وأموالٍ سائلة فى العديد من بلدان وبنوك العالم ..

اليقين الأكبر .. !!

أما اليقين الأكبر .. فهو أنه كان هناك .. حاضراً .. وبقوة وراء أسوار ذلك العالم الذى لا يعرف الرحمة .. جالساً على قمة الهرم المخابراتى الذى تنتسج تصنيفات العملاء المنتمين له باتساع كل طبقة من طبقاته الهرمية .. وهناك على قمته يجلس منفرداً ما نطلق عليهم طائفة "العملاء المزدوجين" .. وهو واحد منهم بشهادة طرفى العلاقة نفسها .. الجانب الإسرائيلى الذى لعب الرجل دوراً ما ضده .. وذلك ليس من قبيل الرجم بالغيب إنما باعترافهم هم أنفسهم .. وبناء على ذلك فهم يملكون نصف الحقيقة .. والنصف الآخر يملكه الجانب الآخر وهو الجانب المصرى الذى مازال مصرأً على ألا يخرج ملف الرجل للنور إلا فى التوقيت الملائم والمناسب بالنسبة لهم .. وتعاملوا مع الأمر بتجاهل وصمت غريب أثار دهشة واستهجان الجميع وكأن الأمر لا يعينهم من قريب أو بعيد .. وهو ما أخذ على الجانب

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

المصرى فى تعامله مع القضية .. فالرجل كان - ولا يزال - محسوباً عليه بشكل بالغ الحساسية، لأنه كان موظفاً كبيراً فى جهاز الحكم ومستشاراً سياسياً لرئيس سابق، وفى نفس الوقت مندوبه وممثله فى مهام سياسية غاية فى الحساسية عربياً وعالمياً .. وكان يجب التعامل مع ما أشيع حوله من اتهامات بشكل أكثر حسماً .. خاصة بعدما أصبح أشرف مروان بما أثير حوله من أقاويل مادة خصبة ومتفجرة لبرامج عالمية يرد فيها ذكر مصر بشكل كبير .. ويتم الربط بينه وبين الوطن الذى عاش يمثله سياسياً لفترة ليست بالقليلة ..

وسبق السيف العذل !!

وبعد أن سبق السيف العذل .. ولقى أشرف مروان مصرعه .. فوجئنا جميعاً بتصريحات مصرية واضحة .. وقاطعة على لسان الرئيس المصرى نفسه الذى أشاد بالرجل وباخلاصه لمصر .. ووطنيته التى لاشك فيها .. وترك للجميع قراءة ما بين السطور .. وكان ما بين السطور لا يحتمل الشك .. فهو أوضح من الوضوح نفسه .. وكأنه يقول لمن لا يبصرون شمس الحقيقة وأعماهم طوفان الافتراءات المتتالية على الرجل : موتوا بظنونكم الكاذبة .. فلن نخرج ما لدينا إلا عندما نريد .. وفى التوقيت الذى نختاره ..

وجهان للحقيقة .. !!

وبين هذا .. وذلك .. أصبح ملف عمالة أشرف مروان وجهان .. الأول هو المرفوض تصديقه والذى اتهم الرجل من خلاله بأنه أكبر خائن عرفته مصر فى تاريخها .. ومجرد تاجر سلاح .. تحميه أجهزة مخابرات عالمية يعمل تحت مظلتها .. ويستحق نهاية تناسب جرائمه التى لوثت يديه بدماء شهداء الوطن الذى خانته وباعه بحفنة دولارات .. وانطلق هذا الطرح كالنار فى الهشيم منذ سنوات ..

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

والثانى أكد أن الرجل كان بطلاً .. أدى لوطنه خدماتٍ جلييلة .. وساهم بدورٍ كبير ومؤثر فى مسار حرب التحرير .. وكان عميلاً مزدوجاً زرعتُه المخابرات المصرية داخل القيادة الإسرائيلية نفسها لتمرر من خلاله معلومات استراتيجية معينة ساهمت بشكل كبير فى نجاح حرب التحرير وانتصار أكتوبر .. وُطِرِحَ كُلاًّ الإحتمالين إعلامياً بقوة .. سواء فى مصر .. أوفى إسرائيل .. أوفى العديد من دول العالم ..

إصرار إسرائيلى غريب ..))

وبدأت تتسع دائرة علامات الاستفهام .. أولها حول الجانب الإسرائيلى الذى تطوع جهازه المخابراتى بإصرارٍ غريب ليفضحه الرجل إعلامياً بشكلٍ غير مسبوق فى نفس الوقت الذى يروج فيه ذلك الجهاز بأن مروان كان عميلاً له بالرغم من أن ذلك يناقض أولاً قوانينها الرسمية .. وثانياً ما اعتادت عليه .. حيث أنها على مدار السبعة وخمسين عاماً الماضية وهى كل عمر الموساد من لحظة تأسيسه عام ١٩٥٠ لم تُشر .. أو تعترف على الإطلاق بإسم أى عميل تابع لها .. حتى جاسوسها الشهير (بولارد) المسجون حالياً فى الولايات المتحدة تُنكر إسرائيل تماماً علاقتها به بالرغم من أنها قدمت مؤخراً طلباً للإدارة الأمريكية للإفراج عنه مبادلةً مع مروان البرغوثى .. ورفضت الإدارة الأمريكية الطلب .. وكذلك لم تعترف رسمياً من قبل بعمالة (إيلي كوهين) جاسوسها الذى اخترق القيادة السورية إلا بعد أن تم إعدامه .. فما هو السر وراء ذلك ؟. هل هى محاولة من جانب إسرائيل للضغط على المخابرات المصرية لإخراج ملف أشرف مروان ليكتمل لديها نصف الحقيقة الآخر الذى لا تملكه ؟ .

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

بداية الأزمة .. !!

وكانت بدايات اندلاع الأزمة على الصعيدين المصرى والعالمى بعد نشر كتاب "تاريخ اسرائيل"، الذى كان السبب المباشر لكى تعرف حكاية "العميل بابل" طريقها للرأى العام عبر صفحات الجرائد وشاشات التلفزيون فى إسرائيل أولاً.. ثم فى مصر .. وإنجلترا وباقى الدول العربية .. ودول العالم .. مؤلف الكتاب يدعى "أهارون برجمان" عمل كضابط مدفعية بالجيش الإسرائيلى .. قبل أن ينتقل للعمل فى المخابرات الإسرائيلىة لفترة قصيرة .. بعدها سافر إلى لندن عام ١٩٨٩ لاستكمال دراسته والحصول على الدكتوراة من إحدى جامعاتها.. وأقام هناك بصفة نهائية متفرغاً للكتابة والعمل الصحفى .. وتخصص فى تأليف كتب عن الصراع العربى - الإسرائيلى .. ثم أصبح فيما بعد محلاً سياسياً فى إذاعة الـ "B.B.C" ومحاضراً فى قسم الحرب بجامعة لندن ..

عندما خرج أشرف عن صمته .. !!

وتساءلنا .. كما تساءل الجميع: أين أشرف مروان نفسه من كل ما يشاع عنه؟.. لماذا يُصر على التزام الصمت .. لماذا لا يرد .. ومتى ينطق؟ .. لكنه أبى إلا الصمت .. ولم يخرج عما فرضه على نفسه .. أو فرض عليه من صمت إلا مرتين فقط .. عاد بعدهما ليلتزم الصمت التام ..

رواية بوليسية ساذجة .. !!

كانت المرة الأولى قبل عدة سنوات .. عندما التقاه الصحفى عادل حمودة فى مكتبه بمصر الجديدة وطالبه بالرد على ادعاءات برجمان وإبداء رأيه كتابةً فى هذه القضية .. فتناول منه الورقة والقلم وكتب فى كلمات وجيزة ما يلى :-

ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

"إن هذه الرواية لا تبتعد كثيراً عن الروايات البوليسية الساذجة والرخيصة.. خرجت من عقل صاحبها وليس لها أساس من الصحة .. ولا الحقيقة" ..

وكانت المرة الأخرى فى حديثه الخاص مع جريدة الأهرام المصرية عام ٢٠٠٢ حيث كرّر ما قاله لعادل حمودة من قبل، وقال بالنص :

"إن كتاب برجمان ما هو إلا قصة بوليسية ساذجة" ..

برجمان يرد .. !!

وبعد أقل من ثلاثة أسابيع رد عليه برجمان فى نفس الصحيفة قائلاً :-

"إن لم تكن أنت العميل المقصود فأرنا جواز سفرك لنرى أين كنت ليلة السادس من أكتوبر" .. وصمت مروان ولم يرد .. وعاد لصمته مرة أخرى ..

ونتساءل .. هل لم يكن لدى أشرف مروان ما يقوله ويرد به على اتهام هؤلاء له بخيانة وطنه؟ وما أبشعه من اتهام؟ أم كان صمته لأسباب ودواعى خاصة بالأمن القومى لم يحن الوقت بعد للكشف عنها تقتضيها مصلحة الوطن على الأقل مؤقتاً وإلى حين؟ .. كما قال فيما بعد الرئيس حسنى مبارك بتصريحاته التى أعقبت وفاة أشرف .. ونقول الأرجح أن صمت أشرف مروان كان بتعليماتٍ عليا تلقاها من الجانب المصرى ..

هل قتل أم انتحرت؟ .. !!

وبقى السؤال الأهم :هل قتل أشرف مروان؟ أم انتحرت؟ .. الإجابة عن هذا السؤال تكمن فقط فى معرفة المستفيد من قتله : من يهيمه ألا تخرج مذكرات أشرف مروان التى كان تقريباً قد انتهى من كتابتها للنور؟ من خُدع فى الرجل .. واعترف علانية

.. ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

بأنه تلاعب به وبأحلام دولة جلس على عرش جهازها المخبراتي وهو يتخيل أنه تمكن من اختراق عائلة ومكتب أكبر رئيس جمهورية في الشرق الأوسط .. وعدوهم الأول " جمال عبد الناصر " فاكشف فيما بعد أنه كان دميةً في يد ذلك الشاب الذي تلاعب بهم كيفما شاء ؟ وكان أحد أهم أسباب الهزيمة التي تجرعوا مرارتها وما أشدها من مرارة .. وقال عنه بالنص: " لقد خدم أشرف مروان مصر بشجاعة نادرة .. وساهم بذكائه في خديعة إسرائيل .. وإن عملية بابل . الاسم الكودي لأشرف مروان . من أبرز ما نفذته المخابرات المصرية .. قبل وأثناء حرب أكتوبر " .. هذا هو نص تصريحات " إيلي زاعيرا " رئيس المخابرات الإسرائيلية أثناء حرب أكتوبر للصحافة الإسرائيلية .. فهل عرفنا الآن من كان وراء تصفية الرجل .. الذي نضم صوته لكل من يرفض التصديق بانتخاره .. أو حتى التسليم بمصرعه قضاءً وقدرًا ؟

وبقى أن نقول إنه عندما تكون المعلومات المتوفرة عن شخص ما مبتورة .. والصورة غير متكاملة الأركان .. غير واضحة المعالم .. تصبح الكتابة عنه بمثابة رحلة شاقة على الكاتب .. والقارئ معاً .. لكن لابد من خوض غمارها .. والإبحار في عالمها حتى نصل إلى بر الحقيقة ..

وحتى نخرج في النهاية بأكبر قدر ممكن من وضوح الصورة وترابط الأحداث جاءت الرحلة نسيجاً من خيوط الحقيقة وبعض لمحات من خيال الكاتب لتوضيح ما هو مبهم وتائه بين سطورها .. بلا تصادم أو تعارض أو طغيان للخيال على لب الواقع ..

.. ونبدأ رحلتنا مع أشرف مروان .. وحكاية العميل بابل ..

المؤلف

تمهيد أشرف مروان.. بورتريه

الاسم بالكامل : " محمد أشرف مروان "

ولد بالقاهرة فى الثانى من فبراير ١٩٤٥ .. لأسرة متوسطة ..

الأب كان يعمل ضابطاً بالقوات المسلحة المصرية .. والأم ربة منزل ..

تدرج فى مراحل التعليم العادية .. وعاش حياته كأى شابٍ عادى آخر .. حتى حصل على بكالوريوس العلوم فى الكيمياء من جامعة القاهرة عام ١٩٦٥ بتقدير جيد .. فى بداية حياته العملية كان يخطط لنفسه للالتحاق بسلك التدريس الجامعى لذا كان طموحه العلمى كبيراً .. فحصل أولاً على الماجستير .. بعدها حصل على الدكتوراه فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٧٣ من كلية العلوم جامعة القاهرة فى مجال " كيمياء المتفجرات " ، تحت إشراف د . أحمد مصطفى وزير البحث العلمى السابق .. وكان ذلك تحديداً عشية انعقاد مؤتمر القمة العربى بالجزائر ، وتم تسجيل درجته للدكتوراه بعد مناقشتها بجامعة " ليستر " بلندن فيما بعد ..

تزوج من " منى " صغرى بنات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يوم ١٩٦٦/٧/٧ وقتها كان قد بلغ عامه الحادى والعشرين .. ويعمل كضابط برتبة ملازم أول بالمعامل المركزية للقوات المسلحة .. وكان والده وقتها قد وصل لرتبة العميد بالقوات المسلحة ويرأس هيئة الإمداد والتموين بها .

فى ١٤ فبراير سنة ١٩٧٤ عُيِّن سكرتيراً لرئيس الجمهورية للإتصالات الخارجية ..

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

فى ١٨ أغسطس عُيِّنَ مشرفاً على مكتب الشؤون العربية برئاسة الجمهورية.

فى سبتمبر عام ١٩٧٥ عُيِّنَ عضواً بمجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع الحربى.. وفى أكتوبر من العام نفسه تم تعيينه رئيساً لمجلس إدارتها..

فى سبتمبر سنة ١٩٧٩ تم تعيينه سفيراً من الدرجة الممتازة بوزارة الخارجية.

سمات أشرف مروان الخاصة .. ١١

سمات أشرف مروان الخاصة تضى عليه قدراً أكثر من الغموض .. فضابط القوات المسلحة .. صاحب الرتبة الصغيرة .. الذى وضع يده فى يد أكبر رئيس جمهورية فى الشرق الأوسط .. وجاءت به أقداره من رحم الطبقة المتوسطة .. ركب ذات يوم قطار طموحه .. وقاده بنفسه .. وسار على قضبان الخطر .. متخطياً فى طريقه كل العلامات الحمراء .. لا توقفه محطات الحقد والغيرة التى كثيراً ما قابلته فى طريقه .. فلم تكن عيناه تبصران إلا هدفه فقط .. وهو الوصول بأقصى سرعة .. لكل ما يستطيع أن يصل إليه من نجاحات .. على كل المستويات .. سياسياً .. ومادياً ..

وكان أشرف صاحب كاريزما خاصة .. يتمتع بشخصية أسرة .. لا يتفق مظهره والتصورات المأخوذة عنه باعتباره رجلاً صاحب ثروة .. له علاقات غامضة .. ومحترفاً فى صراعات المال والأعمال .. إنه ببساطة - وكما قال الكثيرون - كان «متواضعاً جداً» .. عطوفاً ورجل خير بمعنى الكلمة .. مجاملاً اجتماعياً لأقصى درجة .. لكنه حاسم تماماً فى أمور حياته العملية والشخصية .. يتمتع بذكاء شديد .. مقاتل عنيد ومحب للحياة .. وعرف عنه طيلة حياته أنه كان قليل الكلام .. لا يشارك فى أى حوار يدور حوله إلا فى حدود ضيقة .. ولا يتطوع لبدء حوار مع أى شخص أبداً كان قدره وأهميته .. ويتحدث فقط فى حدود معرفته ومعلوماته الشخصية .. باختصار كان قليل الكلام .. لكن ذلك ليس من قبيل التعالى على الآخرين .. وكما قلنا فقد عرف عنه طيلة حياته تواضعه الشديد .. وأذبه الجم .. وإنما من باب عدم الدخول فيما لا يعنيه ..

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

أسماء .. وحكايات .. !!

أطلقت الصحافة المصرية والعالمية على أشرف مروان العديد من الأسماء .. كل منها كان وراءه قصة .. وحدوته .. فهو :

"الرجل الغامض" ..

الذى لا تروى المعلومات المعروفة عنه ظمأ الباحثين وراءه من صحفيين .. وكُتاب .. وغيرهم .. وكان مبدؤه فى الحياة "الأ يعرف أسرار أشرف مروان غير أشرف مروان نفسه" ..

"الطفل المعجزة" ..

الذى صنع فى سنواتٍ قليلة .. ما يعجز عن تحقيقه كثيرون فى عشرات السنين ..

"الأسطورة" ..

بنفوذ الذى لا يعرف حدوداً .. ولا يستسلم لمعوقات ..

"الملياردير الصامت"

أطلقت عليه هذه التسمية بعد أن تفجرت إعلامياً وصحفيّاً حكايته مع الموساد .. وربطت هذه التسمية بين ما وصل إليه من ثراء جعله مصنفاً كأحد أغنى أغنياء

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الشرق الأوسط .. وبين ما فرضه على نفسه من صمت تجاهها .. فقد نشرت مجلة "فوربس" العالمية قبل عدة سنوات قليلة تقريراً خاصاً عنه قدرت فيه ثروته بـ ٨٠٠ مليون دولار .. وأشارت إلى أنه يمتلك شقة فاخرة في ٥٠ شارع فوشيه بباريس وهو أغلى شارع في العالم .. ويتنقل بين جميع أنحاء العالم بطائرته الفالكون الخاصة .. وأكدت المجلة في تقريرها أنه بعد عشر سنوات فقط من هبوطه أرض العاصمة البريطانية "لندن" كان أحد أهم أعضاء نادي "الملتى مليونيرات" في العالم وتسعى مختلف الحكومات لتكريمه والاحتفاء به، مثلما فعلت حكومة كندا التي منحته جنسيتها عام ٢٠٠٢، بعد أن أنشأ هناك أحد مشروعاته السكنية المتميزة بجوار مطار "ميرابل" المطار الثانى للدولة هناك ..

"النهر" .. أو "العريس" ..

وهى أسماء كودية خاصة به أطلقتها عليه المخابرات الإسرائيلية .. لعلاقة النسب والمصاهرة بينه وبين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعد زواجه من ابنته الصغرى "منى" .. لأنه فى بدايات علاقته بالموساد عام ١٩٦٩ لم يكن مرّ على زواجه من "منى" أكثر من ثلاثة أعوام تقريباً ..

والعميل بابل ؟ .. !!

وآخر .. وأشهر تلك الأسماء كان "العميل بابل" .. الذى أطلقته عليه أيضاً المخابرات الإسرائيلية .. ومع هذا الاسم نتوقف قليلاً لنتساءل : لماذا اختارت المخابرات الإسرائيلية "العميل بابل" تحديداً كإسم كودى لأشرف مروان ؟ .. هل للإسم دلالة ما ؟ .. فأجهزة المخابرات لا تطلق على عملائها أسماء بلا معنى .. ولا هدف .. فهذا العالم الغامض بنى أساساً على الدقة والقصد فى كل شئ .. فماذا تعنى إذاً التسمية ؟

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

المفاجأة أن الاسم يطرح دلالة خطيرة فى الإجابة عن سؤال هام حول الصورة التى رسمها الإسرائيليون لأشرف مروان .. الذى أصابهم بحيرة غير مسبوقة .. فلم يعرفوا الوصول إلى بر فى تصنيفهم له من اللحظات الأولى التى بدأت فيها علاقته بهم .. لأن التسمية باختصار شديد ترتبط فى تاريخ بنى إسرائيل بالبرج الشهير والمدينة الموجود بالعراق القديمة اللذين يحملان نفس الاسم .. وكان اليهود يسكنون قديماً تلك المدينة .. فى وقت كان فيه العالم- بحسب ما يذكر تاريخهم- يتكلم جميعاً لغة واحدة .. وعندما أمر الله ملائكته بتدمير البرج تشتت أحفاد آدم فى كل الشعاب وتعددت لغاتهم فعمت الحيرة والبلبل أرجاء المعمورة .. ويبدو أن أشرف مروان قد أصابهم هم أيضاً بنوع من البلبلۆ .. بعد أن ذكرهم بحيرتهم القديمة فأطلقوا عليه هذا الاسمۆۆ ..

كلمة السر .. ۆۆ

وقبل أن نبدأ قراءتنا فى أوراق هذه القضية .. نحاول أن نحدد بدايةً مفتاح القضية ككل .. وفى رأينا الشخصى نستطيع أن نوجزه فى كلمة واحدة .. وهى "الصدمة" .. نعم .. فهى كلمة السر فى هذا الملف .. وعلى قدر أهمية الرجل بالنسبة لهم .. كان وقع الصدمة عليهم كبيراً مرتين .. الأولى بعد أن نجحوا بالفعل فى تجنيده بعد أن ذهب إليهم بنفسه يعرض خدماته .. والثانية بعد أن كانوا يتباهون بأنهم استطاعوا تجنيد رجلاً بحجم وقدر وأهمية أشرف مروان فى النظام المصرى فى الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى .. ثم فوجئوا بأنه فى الحقيقة ما كان إلا أكبر صفقة ولطمة تلقوها على وجوههم .. وأكبر وصمة فى تاريخهم المخبراتى .. وتوالت صراعات واعترافات قادة مخابراتهم العسكرية .. والمدنية .. يعترفون بالخدعة بينما يلقى كل منهم بالمسئولية على الآخر .. ووصلت تلك الصراعات الى ساحات المحاكم هناك .. بعد أن اشتعلت على صفحات جرائدهم .. وشاشات

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

قنواتهم التليفزيونية.. وتحول جهازهم المخبراتي "الموساد" الذي تخيلوه أسطورةً كبرى .. وكان بالنسبة لهم مثل حائط الميكى .. يذهبون إليه متوهمين أنه الملاذ الذى يتخلصون عنده من الذنوب والآثام إلى مادة موسمية للسخرية والاستهزاء من الصحافة العربية والعالمية .. بل والإسرائيلية نفسها .. وأصبح بإخفاقاته المتكررة أكبر وصمة عار فى حياتهم .. وتحول قاداته إلى متهمين أمام الرأى العام.. وخضعوا للمساءلة والمحاكمة.. وباعترافهم هم أنفسهم فإن أشرف مروان رحل وترك وراءه بقعةً سوداء تلوث تاريخ الجاسوسية فى إسرائيل، بعد أن خدعها وجعل من هذه المؤسسة أضحوكة بعد أن لعب عليهم لعبة العميل المزدوج .. وذلك بالنص هو ما كتبه صحيفه « معاريف » الإسرائيلية عقب وفاة أشرف مروان ..

الفصل الأول

موعد مع القدر!!

الزمان : ظهيرة الأربعاء الموافق ٢٧ يونيو ٢٠٠٧ ..

عقارب الساعة تشير للواحدة والدقيقة الأربعين تماماً ..

المكان : العاصمة البريطانية لندن .. التى كانت تعيش يومها حالة ارتباك أمنى شديد .. حيث أعلنت وكالات الأنباء أن رئيس وزراءها " تونى بلير " فى طريقه فى تلك الأثناء إلى قصر الملكة لتقديم استقالته هو وحكومته!!

وتحديداً أمام البرج رقم ٥٠ والذى يحمل اسم "كارلتون هاوس تراس" وهى إحدى أهم وأشهر وأعلى البنايات السكنية فى العالم .. ويصل سعر الشقة فيها لحوالى ٦٠ مليون جنيه إسترليني .. البناية الشهيرة تقع فى أحد أشهر شوارع العاصمة البريطانية وهو شارع "سان جيمس" ، ويقع على يمينها منزل رئيس الوزراء البريطانى .. وعن يسارها مقر مجلس النواب .. وبالقرب منها قصر الأسرة المالكة .. ولا يسكنها إلا عليّة القوم هناك من وزراء ورجال أعمال وسياسيين وغيرهم .. ويحتل الجزء السفلى منها متحف الفن الحديث .. كما تضم أيضاً فروعاً وإدارات لبعض أكبر الفنادق والمطاعم العالمية .. والمنطقة ككل دون باقى أحياء وميادين العاصمة البريطانية تتميز بالهدوء الشديد ..

الجمّة المجهولة .. !!

فوجئ المارة والسكان بهذه المنطقة الحيوية بصوت ارتطام شديد يقطع صمت المكان وهدوء المعتاد .. هرول الجميع ناحية مصدر الصوت ليفاجأوا بجمّة رجل فى السبعين من عمره ملقاةً بحديقة المنزل الذى سقط من أعلاه .. وقبل أن يتساءلوا

فيما بينهم من يعرف الرجل .. كان أفراد الأمن بالبناية يشيرون إليه ويقولون إنه "مستر مروان" رجل الأعمال المصرى الذى يقيم بالدور الخامس.

بعد أقل من ساعة !!

رجال الشرطة البريطانية "الاسكوتلاند يارد" يحيطون بالمكان .. شريط طويل من البلاستيك الأصفر تعلوه كلمة "police" يلف الموقع ككل .. ويفصل حديقة المنزل .. ومكان الجثة عن مئات الأشخاص الذين تجمعوا وأحاطوا بموقع الحادث..

خارج سور الحديقة تقف سيارة إسعاف بجوارها العديد من سيارات الشرطة البريطانية ..

الكل عيونهم معلقة بالجثة الملقاة على الأرض .. والمغطاة بغطاء بلاستيكي كبير.. عدسات المصورين الصحفيين .. وكاميرات القنوات الفضائية تتسلل بين صفوف الزحام الشديد المحيط بالمكان تحاول أن تبحث عما تتيحه للمتابعين للحدث على الهواء مباشرةً .. يقف بعيداً السفير المصرى فى لندن "جهاد ماضى" ممسكاً بهاتفه المحمول .. تبدو عليه علامات القلق والتوتر الشديدين وهو يتحدث .. على الطرف الآخر كان معه وزير الخارجية المصرى شخصياً .. بنبرة حزن شديدة أخبره جهاد ماضى أن "أشرف مروان" قد لقي حتفه .. فقد كان الرجل الذى عُرف بأنه أكبر علامة استفهام فى تاريخ الجاسوسية بالشرق الأوسط .. فى هذا اليوم .. وهذا التوقيت بالتحديد .. على موعد مع القدر ليقول كلمة النهاية فى مشوار حياته الذى توقف به عند المحطة الثالثة والستين من عمره ..

وعندما سأله وزير الخارجية المصرى عن التفاصيل لم يستطع جهاد أن يجيب.. لأنه ببساطة شديدة لم يكن أحد حتى ساعتها يعرف أى شئ .. فالحادث مرّ عليه أقل من ساعة .. والمعروف فقط أن الرجل سقط من شرفة شقته الواقعة أعلى نفس البناية .. لكن كيف ؟ ولماذا ؟ وهل قتل ؟ أم انتحر ؟ فلم يكن أحد يعرف بعد ..

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

تطايير الخبر غير كافة وكالات الأنباء .. وقطعت قنوات "ميلودى" الفضائية المصرية إرسالها لتذيع القرآن الكريم .. وشريطاً أسود تبثه حاملاً الخبر بدلاً من شريط الـ "S.M.S" الأحمر المعتاد الذى يذيل شاشتها .. لتكون أول قناة مصرية وعربية تذيع الخبر .. وهو أمراً طبيعياً فالرجل هو ممولها ويديرها ابنه "جمال مروان" ..

غموض الموقف .. !!

المتابعون للموقف ككل طرحوا العديد من الأسئلة بمجرد تلقيهم خبر الوفاة .. وجميعها كانت تشير لوجود شبهة جنائية فى الوفاة .. أما ما أعلنته "الاسكوتلانديارد" البريطانية بعدها بعدة ساعات فقط من الوفاة بترجيحها احتمال انتحار الرجل، فهو ما اتفق الغالبية على استبعاده ..

وعاد لغط الحديث حول عمالته للموساد من عدمه يفرض نفسه كإطار عام لكل تساؤل يحيط بالموقف .. وبدأ الجميع يسترجعون شريط الذكريات .. ورحلة صعود نجم الطفل المعجزة ..

صفيح ساخن .. !!

وبدأت عجلة الإعلام العالمى بكل اتجاهاتها تدور فى اتجاه الحدث .. وبدأت كل عناوين الصحف والبرامج التليفزيونية والإذاعية تسترجع شريط حياة أشرف مروان .. فى محاولة للإجابة عن علامات الاستفهام المحيطة برجل احتل من ذاكرة وطنه مساحةً ليست بالهينة .. ولعب العديد من الأدوار السياسية الهامة فى حقبة كانت مصر .. وكان الوطن العربى .. بل الشرق الأوسط والعالم أجمع .. على صفيح ساخن .. تقذفه وتتلاعب به سخونة الأحداث التى تعيشها منطقة الشرق الأوسط ..

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

فى كل الاتجاهات .. واحتفظ "أشرف" لنفسه دائماً بدور هام .. ومؤثر على خشبة المسرح .. تصاعد به من مجرد ضابط صغير بسرية الكيمياء بالجيش المصرى عند ارتباطه ببنت الرئيس .. إلى موظف بسكرتارية الرئيس الخاصة تحت رئاسة سامى شرف السكرتير الخاص لعبد الناصر .. إلى مدير لمكتب المعلومات برئاسة الجمهورية .. ثم سكرتيراً شخصياً للرئيس السادات .. ثم رئيساً لمجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع والإنتاج الحربى .. رحلة استغرقت زمنياً أقل من عشر سنوات .. تحديداً منذ عام ١٩٦٩ الى عام ١٩٧٨ .. لكن حقق خلالها الرجل ما يعجز غيره عن تحقيق نصفه فى أضعاف تلك المدة الزمنية الوجيزة .. ومن هنا بدأت رحلة صعود الطفل المعجزة كما أطلقت عليه الصحافة فيما بعد .. ليتحول من مجرد موظف راتبه لا يتعدى ٣٣ جنيهاً .. إلى واحد من أهم مليارديرات الشرق الأوسط .. والعالم ..

الصدمة الأولى !!

كانت الصدمة كبيرة على جميع أفراد أسرة أشرف مروان وهم يتلقون الخبر الذى هبط على الجميع كالصاعقة .. السيدة منى عبد الناصر زوجة الفقيد كانت فى رحلة تسوق خاصة فى بيروت .. قطعتها على الفور وركبت أول طائرة عائدةً لمصر فى نفس يوم الوفاة .. ولدها "جمال" و "أحمد" كانا يمارسان أعمالهما المعتادة فى نفس التوقيت بشكل عادى عنما تلقيا الخبر .. فتوقفت حياتهما تماماً .. ذهباً إلى منزل الأسرة بضاحية مصر الجديدة .. منتظرين وصول والدتهما لترتيب الموقف ..

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

بلا رفیق ١١

القاهرة .. مساء يوم الخميس ٢٨ يونيو ٢٠٠٧

مطار القاهرة الجوى ..

منى عبد الناصر تستعد لتأخذ مكانها فى الطائرة المنطلقة الى العاصمة البريطانية "لندن" يجلس بجوارها ولداها "جمال" .. و "أحمد" .. المذيع الداخلى يرحب بالركاب ويتمنى لهم رحلة سعيدة .. ويذكرهم بربط الأحزمة .. لحظات وتنطلق الطائرة محلقة فوق السحاب .. منى تحدث نفسها: أية رحلة سعيدة التى يتحدث عنها قائد الطائرة ؟ .. أية رحلة تلك التى تقلها بدون الرجل الذى عاشت معه أحلى وأجمل سنوات العمر ؟؟ .. انهمرت الدموع من عينيها .. والوصف الأكثر دقة أن الدموع لم تفارق عينيها منذ لحظة تلقيها للخبر المشؤم .. "جمال" .. و "أحمد" يحاولان مواساتها وتهدئتها .. بينما لسان حالهما أنهما يبحثان هما أيضاً عن يواسيهما ويمسح دموعهما ..

بداية التعارف ١١

منى تعود بذاكرتها للوراء اكثر من أربعين عاماً .. عندما كان "أشرف" شاباً فى العشرين من عمره .. يسير متهادياً عبر مدخل نادى هليوبولس بمصر الجديدة .. يرتدى بدلته العسكرية .. ونجمتان ذهبيتان تغتليان كتفيه .. مقبلاً على الحياة .. يلمح فى عيون كل من يقابلهم نظرات الإعجاب .. ممتزجة ببريق خاص يزيد ثقة فى نفسه .. وهو يتهادى فى مشيته .. الى حيث المنضدة التى تعود كل يوم خميس من كل أسبوع أن يذهب ليجلس عليها منتظراً مقدم شقيقته الصغرى (عزة) صديقة (منى) الأثيرة .. تأتى الفتاتان .. بعد انتهائهما من ممارسة لعبتهما المفضلة (كرة السلة) ليجلس الثلاثة .. ومن بعيد تراقبهم عيون حرس الرئاسة المصاحبين لابنة

ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الرئيس .. وعيون باقى رواد النادى الذين تعودوا رؤيتهم هكذا كل أسبوع .. يرفع الجرسون أكواب الليمون .. ليأتى بعدها من نفسه بكؤوس الأيس كريم .. طقوس معتادة يحفظها عن ظهر قلب ويكفيهم مؤونة استدعاءه لطلبها .. فالوقوف يتكرر بنفس السيناريو طيلة الشهور الماضية .. قبل آذان المغرب يودعون بعضهم البعض .. تعود منى لتستقل السيارة المخصصة لتنقلاتها عائدةً الى منزل والدها فى حدائق القبة .. أشرف يصطحب شقيقته ويتوجهان ليستقلا سيارة والدهما التى يقودها أشرف للعودة الى منزلهم بشارع الحكماء بمصر الجديدة .. شرود أشرف أثناء قيادته السيارة فى طريق العودة للمنزل حكمت لها عنه فيما بعد (عزة) التى كانت تمسك بيدها طرفى تلك العلاقة الصامتة بينها وبين أشرف .. فقد كانت هى سبب التعارف وهمزة الوصل وحلقة الاتصال بينهما ..

بين الرهبة .. والخجل .. !!

أخيراً قرر أشرف ان يكسر حاجز الخجل ويفاتح والده ووالدته برغبته فى بالارتباط بـ "منى" .. لكن المشكلة لم تكن فى مفاتحة أسرته فهم حتماً سيوافقون .. فمن هذا الذى يرفض ارتباط ابنه بابنة رئيس الجمهورية ؟ .. المشكلة أن العروس كانت ابنة رئيس الجمهورية .. فهل سيوافق الرئيس بسهولة على زواج صغرى بناته - التى كان يعلم تماماً من حديث شقيقته عنها أنها تحديدًا دون باقى أشقائها هى الأقرب من قلب والدها .. أحبها ودللها كما لم يحب أو يدلل باقى أولاده - من شاب عادى مثله .. لا ينتمى لعائلة ثرية .. أو على الأقل من كبريات عائلات البلد .. كان للموقف رهيبته بلا شك .. وكان على أشرف أن يتجاوز حاجز الرهبة .. كما تخطى حاجز الخجل ..

وتتذكر منى لحظات صمتها أمام أبيها عندما سألها عما يكون ذلك الشاب الذى يريد لقاءه لطلب يدها .. وعندما تغلبت قليلاً على خجلها .. تولت منى تعريف أبيها وأسرتها به ..

فى بيت الرئيس !!

شريط الذكريات مازال تتوالى صورته أمام عينيها .. وتتذكر ذلك المشهد من عام ١٩٦٦ .. وبالتحديد فى منزل والدها الرئيس .. كان عبد الناصر يجلس وعن يمينه زوجته السيدة تحية .. وعن يساره ولده خالد .. وبجواره شقيقه عبد الحكيم .. فى جانب آخر من غرفة الصالون يجلس حاتم صادق زوج هدى الابنة الكبرى للرئيس عبد الناصر .. وبجواره زوجته وعن يمينها شقيقتها (منى) العروس .. أمامهم يجلس أشرف مرتدياً بدلة زرقاء اللون وكرافت سماوياً وقميصاً أبيض .. الجميع يقرءون الفاتحة .. صوت الرئيس يعلو الجميع ..

الرئيس :- آمين .. (ينظر ناحية أشرف) مبروك يا أشرف .. (ثم ناحية منى) مبروك يا منى .. ينهض الرئيس ويقوم أشرف متجهاً نحوه .. يحتضنه الرئيس فى ود أبوى ثم يتجه ناحية منى يحتضنها بقوة .. عينا الرئيس تبرقان بالدموع .. وهو يحتضن ابنته الصغرى .. الجميع يتبادلون التهانى ..

ثانى زواج رسمى !!

بعد عدة شهور قليلة تزوج أشرف بمنى .. وكان زواجه بها هو ثانى زواج رسمى تشهده جمهورية مصر الجمهورية .. بينما كان الزواج الأول فى ٥ أغسطس ١٩٦٥ لهدى الابنة الكبرى للرئيس والعريس هو حاتم صادق نجل السيد على صادق الوكيل السابق لوزارة الزراعة .. وعمل حاتم فيما بعد بجانب عديله أشرف فى السكرتارية الخاصة للرئيس عبد الناصر .. وجاء إليها منتدياً من محل عمله الأصلي بالمخابرات العامة .. بينما جاء مروان منتدياً من محل عمله بالسرية الكيميائية التى كان قد وصل فيها إلى رتبة النقيب ..

حكاية الشاطر أشرف

كان زواج أشرف مروان ومصاهرتة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر هو بداية صعود نجمه بشكل كبير، حيث بدأ اسمه يتردد على مسامع الناس .. والحقيقة أن ارتباط أشرف مروان بمنى عبد الناصر يشبه كثيراً قصة الشاطر حسن وبنت السلطان .. مع اختلاف بسيط هو أن الشاطر حسن وبنت السلطان كانا حدوداً من حوادث ألف ليلة وليلة .. بينما حدودة أشرف ومنى كانت من بين ثايات الواقع .. كما أن طموح الشاطر حسن انتهى بزواجه من بنت السلطان .. بينما طموح الشاطر أشرف بدأ فقط يوم زواجه من بنت الرئيس ..

علاقة متوترة .. !!

فى البداية سارت العلاقة بين أشرف وأسرة زوجته كأحسن ما يكون .. لكنها مرت فيما بعد بالعديد من المنحنيات .. ما بين الصعود والهبوط لأسباب سيلي ذكرها فى موضعها .. وبقيت العلاقة بين أشرف وصهره الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هى الأهم .. فكيف كانت صورة العلاقة بينهما ؟؟

البعض يقولون إنه لم يكن هناك مساحة كافية من الود بين الرئيس وزوج ابنته، خاصة من جانب عبد الناصر الذى كان كما يقولون يتعامل معه كـ « حما » .. وظل أشرف حتى آخر حياة صهره يقف أمامه مشدود الأعصاب يرتعش عندما يقف أمامه ولا يستطيع أن يتحدث معه دون أن يتلعثم .. مثلما ذكر ذلك موسى صبرى فى كتابه "السادات الحقيقة والأسطورة" .. ووصفه بأنه كان ثقيل لسان بالخلقة ..

وهنا نتساءل: لو كان ذلك صحيحاً ما الذى دفع الرئيس عبد الناصر رغم هذه العلاقة المتوترة للموافقة على إلحاق زوج ابنته بالعمل فى سكرتاريته الخاصة للمعلومات التى كان يرأسها وقتها سامى شرف ؟. كما أن منى زوجة أشرف وابنة

ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

عبد الناصر تنفى ذلك تماماً، وبحسب ما قالت له لمصطفى بكرى - فى حديث تليفوني دار بينهما ونُشر نص الحديث بجريدة الأسبوع عقب الوفاة - فإن زوجها كان يكن قدراً كبيراً من الحب والاحترام لوالدها الرئيس الراحل .. وظل وفياً لذكراه حتى نهاية حياته، وكان يناديه فى حياته "بابا جمال" وكان كثيراً ما يردد عبارة "الحمد لله .. ربنا راضى عنى .. ووالدى جمال عبد الناصر راضى عنى .. ومصر دائماً فى عينى" .. كما أن أمين هويدى رئيس جهاز المخابرات السابق أكد لوائل الإبراشى .. فى حديث خاص معه نشرته جريدة صوت الأمة بتاريخ ٢ يوليو ٢٠٠٧ .. أن عبد الناصر نفسه هو الذى أمر بنقل أشرف مروان زوج ابنته للعمل فى جهاز المخابرات لمهام خاصة، وأنه لن يستطيع أن يكشف طبيعة هذه المهام التزاماً بسرية العمل ..

أشرف بعد رحيل الزعيم !!

وهكذا لم يشغل أشرف مروان فى عهد صهره أى مناصب من الممكن أن نطلق عليها أنها مناصب حساسة .. وكذلك لم يعرف الثراء فى عهده .. بل كان منصبه فى رئاسة الجمهورية منصباً شرفياً لا أكثر .. وكان راتبه عادياً جداً لا يرفعه لمصاف الأثرياء على عكس وضعه الوظيفى والمادى فى عصر السادات .. فقد كان وهو دون السابعة والعشرين منوطاً به الإشراف على أداء بعض الوزراء .. وأسند إليه العديد من المناصب الهامة مثل عضو لجنة تطوير وصناعة الأسلحة بين مصر وليبيا .. وعضو المجلس الأعلى للمشروعات الفنية فى مجال الطاقة النووية أيضاً بين مصر وليبيا ..

فى مطار لندن !!

أفاقت منى عبد الناصر من شرودها على صوت المذيع الداخلى بالطائرة يهنيء الجميع بسلامة الوصول .. كان هناك مجموعة من السفارة المصرية والجالية المصرية فى لندن، على رأسهم السفير المصرى فى انتظارهم .. بعد أقل من ساعة

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

كانت إجراءات الدخول الروتينية قد انتهت .. توجهوا جميعهم إلى الشقة التي سقط منها أشرف ..

موت غير محدد الأسباب !!

فى الطريق كان السفير المصرى يشرح ما حدث للأسرة من خلال ما توافر لديه من معلومات .. وأنهى حديثه بقوله إن الشرطة البريطانية اختارت وصف "موت غير محدد الأسباب"، لتجعله عنواناً مبدئياً لملف القضية .. لكن الاحتمال الأقرب الذى تتعامل معه سلطات التحقيق هو "الانتحار" .. كان السفير وكأنه قد ألقى قنبلة من العيار الثقيل على مسامع أسرة الراحل .. صرخت منى فى حدة : كيف ذلك .. أشرف لا ينتحر أبداً .. لا بد أنهم قتلوه .. حاول جهاد ماضى تهدئتها .. وقال إن الأمر مازال قيد التحقيق ..

تهديدات صريحة بالقتل !!

ردّ عليه جمال مروان قائلاً .. الأمر لا يحتاج تحقيقاً .. والذى تلقى رسالة تهديد صريحة بالقتل قبل يومين فقط .. وأبلغنا جميعاً بها .. رد أحد المرافقين للأسرة من ممثلى الجالية المصرية: أبلغنا نحن أيضاً جميعاً بذلك .. الجالية المصرية جميعها لديها قناعة تامة بأن الراحل قتل .. ولم ينتحر .. وصلت السيارة إلى المبنى الذى وقع فيه الحادث ..

عمدة المصريين فى لندن !!

فوجئت أسرة أشرف بعشرات من المصريين فى انتظار وصولهم .. فبمجرد علم أعضاء الجالية المصرية بوجود عائلة أشرف فى العاصمة البريطانية .. تدافع

■ ■ ■ ملف العميل بابل ■ ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الجميع ليحيطوا بهم.. الكل يحاول أن يساهم بأى شئ .. حتى ولو بالتواجد فقط بالقرب منهم رداً لكثير من أفضال الرجل .. الذى قال عنه البعض منهم إنه قد حجز لنفسه موقعاً مميزاً فى ذاكرة عدد كبير من البشر باعتباره « رجل خير » .. سخياً .. ليس فقط بعد أن استقر به المقام فى العاصمة البريطانية .. ولكن قبلها بكثير .. حيث يقول أحد زملائه بمكتب الرئيس السادات إن أشرف كان يتكفل سنوياً بإرسال العديد من الأشخاص للحج والعمرة ويتكفل بكافة نفقاتهم وإقامتهم، بدءاً من شراء ملابس الإحرام لهم، وانتهاء بثمان تذاكر السفر ذهاباً وعودة .. ومروراً بكافة مصاريف إقامتهم بالأماكن المقدسة .. كل هذا على نفقته الشخصية .. وفى سرية تامة .. وطوال السنوات الطويلة التى قضاها فى بلندن كان أشرف مروان لا يتردد عن مد يد العون لكل من يحتاج إليه .. وكان يحرص على أن يظل ذلك فى الخفاء .. بلا ضجيج .. ولا مفاخرة .. وعاشت الجالية على مدار خمسة عشر عاماً - هى عمر تأسيسها - بدعم كامل من الرجل الذى عمل بكل جهده للمساهمة فى تفعيل وتنشيط أعمالها .. وكان مروان من عاداته أن يمول عمليات شحن جثامين الموتى المصريين من لندن إلى القاهرة على حسابه الشخصى .. ويمول إفطارات شهر رمضان .. ويرسل ليستقدم من مصر خصيصةً علب الكعك وحلوى المولد النبوى الشريف ليتم توزيعها على أعضاء الجالية هناك .. ويقدم خدمات كثيرة للمصريين فى اتجاهات مختلفة .. وقطاعات متنوعة .. بدون أن يعرف أحد ذلك .. ويلخص كل ذلك أحد أفراد الجالية هناك بقوله : " كنا مطمئنين لأنه موجود .. ظهر يمكن أن نستند إليه "

لذلك استحق عن جدارة اللقب الذى أطلق عليه هناك وهو " عمدة المصريين فى بريطانيا " ..

جالية أشرف مروان !!

حتى عندما اصطدم به الآخرون كقدره دائماً .. وكان الآخرون هذه المرة هم بعض المثقفين المصريين فى لندن الذين قادوا تحالفاً ضده فى انتخابات الجالية المصرية هناك فى نهاية التسعينيات، بدعوى أنهم لا يريدون أن تكون الجالية هى جالية "أشرف مروان" .. من كثرة ما كان يقدم لها من إعانات وتبرعات .. وخاضوا الانتخابات ضده .. وحصل هو على أعلى الأصوات .. ولكنه استقال لأن الانتخابات جاءت بمن لا يستطيع التعامل معهم .. ولم يستمر هذا المجلس عاماً واحداً .. بعدها اعترف هؤلاء بأن أشرف كان على حق وأن وجوده كان مفيداً .. وأنهم خاضوا ضده صراعاً غير مبرر ..

فى الخفاء !!

وفى غضون الثمانية أشهر الأخيرة من حياته، دفع أشرف مروان تبرعات لمرضى مختلفين سافروا إلى لندن لتلقى العلاج على نفقة الدولة، أو كانوا من المقيمين أو المبعوثين هناك، بلغت فى مجملها ٤١ ألف جنيه استرلينى .. وكان يطلب فى الأيام الأخيرة من المستشار الطبى أن يذهب معه إلى المستشفيات لزيارة المرضى .. وهو ما اعتاد القيام به دون إعلان عن شخصه .. كان يزورهم باعتباره شخصاً عادياً يطمئن على الناس .. خاصة أن ملامحه الشكوية قد تغيرت كثيراً نتيجة للأمراض العديدة التى أصيب بها .. كما أن وجهه إعلامياً كان مجهولاً بالنسبة لمعظم الناس .. وكان فى أواخر أيامه يستعد لتمويل مشروع تسفير ستة أطباء من الخبراء البريطانيين بصحبة ثلاثة أطباء مصريين من المقيمين فى بريطانيا إلى مستشفيات ومراكز مصرية عامة .. لتقديم العلاج إجراء عمليات جراحية فى عدد كبير من المحافظات المصرية ..

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

استطاع بعض رجال الشرطة البريطانية الذين ظلوا يحيطون بموقع الحادث.. ويفرضون سياجاً أمنياً حوله.. أن يحولوا بين أسرة مروان ومراسلى ومصورى الصحف والقنوات الفضائية الذين كانوا بانتظارهم .. واندفعوا نحوهم .. كل يحاول أن يحصل منهم على أية تصريحات خاصة .. لكنهم كانوا فى حالة نفسية سيئة لا تسمح لأى منهم أن يتحدث مع أحد .. منى تصعد للشقة بمساعدة بعض السيدات المصريات اللاتى كن ينتظرنها أمام البناية .. جمال وأحمد ابنا الراحل يطلبان من السفير جهاد ماضى الذهاب بهما إلى حيث مشرحة مستشفى "ويست مينستر" الموجود بها جثمان والدهما .. السفير يؤكد لهم استحالة حدوث ذلك على الفور .. لابد من الحصول على إذن مسبق من جهات التحقيق .. وعدهما بحصوله على التصريح فى الغد .. صعدوا جميعهم لأعلى.

تصريحات رئاسية !!

فى نفس التوقيت كان الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك عائداً لتوه من غانا حيث شارك فى أعمال القمة الإفريقية التاسعة التى عقدت بعاصمتها أكرا .. وكعادة الرئيس المصرى فى مثل هذه الرحلات يصطحب معه وفداً من رؤساء تحرير الصحف المصرية الحكومية والمستقلة .. وفى طريق العودة جلس يتحدث معهم فى العديد من القضايا وكان على رأس تلك الموضوعات القضية التى أصبحت حديث الساعة .. وهى قضية أشرف مروان .. وقال مبارك إن أشرف مروان كان بطلاً قومياً كبيراً قدم لوطنه خدمات جليلة .. وأنه هو شخصياً كان على علم ومتابعة دائمين لكل ما يقدمه لوطنه من خدمات .. وأنه لم يكن يوماً جاسوساً لأية جهة ما على الإطلاق .. لا صحة لما تردده إسرائيل فى هذا.

الفصل الثانى

حكاية العميل بابل..

لا مستحيل فى عالم المخابرات .. !!

هل كان أشرف مروان عميلاً مخبراتياً ؟؟ .. الحقيقة أنه "لا مستحيل" فى عالم المخابرات .. فهو مثله مثل أى شخص آخر تنطبق عليه أصول اللعبة التى تقول إن أى شخص من الممكن تجنيده ليصبح جاسوساً .. لا فرق فى ذلك بين عالم .. وجاهل .. أو بين وزير .. وغفير .. فالكل لديه دائماً ما يقدمه لمن يهيمه الأمر .. ويقدر ما لديه من معلومات ويدفع الثمن لذلك ..

والإجابة المؤكدة أنه كان كذلك .. والأحداث تقودنا بدايةً للتسليم المطلق بأنه لعب دوراً ما .. لصالح جهة ما .. فلصالح من وضد من لعب أشرف مروان دور العميل المزدوج الذى أداه ببراعة شديدة ؟. هذا هو السؤال ..

هل لصالح مصر وضد إسرائيل .. أم العكس ؟.

وبدايةً نستبعد تماماً أنه كان يلعب على الطرفين لصالحه الشخصى .. لأن هذا الطرح ما من وسيلة لتأكيد سوى اعتراف جهاز ما من جهازى المخابرات فى الدولتين بذلك .. وهو ما لم يطرحه من الأساس الجانب الإسرائيلى الذى تولى إعادة تقديم أشرف مروان للرأى العام العالمى باعتباره أحد عملائه .. وبالتالي لن يطرحه الجانب المصرى حتى بعد تصريحات الرئيس مبارك التى أشادت ببطولة .. وإخلاص أشرف لوطنه !!

مواصفات العميل المزودوج .. !!

لكن ماذا تعنى كلمة أو تسمية: "العميل المزودوج" ؟

فى عالم المخابرات تعنى تلك التسمية الكثير .. فهناك فى قمة الهرم المخابراتى يسكن ملوك عالم الجاسوسية .. وهم أولئك الأشخاص الذين نطلق عليهم تسمية "العملاء المزودجون" .. اللذين يحتلون أعلى تصنيفات العملاء فى هذا العالم المثير .. وكما قلنا سابقاً إن أى شخص يمكن أن يصبح جاسوساً .. لكن بالقياس نفسه لا يصلح أى شخص للعب دور العميل المزودوج .. وتعنى التسمية أن من يحمل هذا اللقب ليس جاسوساً عادياً .. إنما هو عميل فوق العادة ويتطلب إعداده للقيام بمهامه المكلف بها تدريبات ونفقات مادية عالية .. فضلاً عن .. وهذا هو الأساس فى الاختيار .. امتلاكه الفطرى لقدرات خاصة من الاستعداد والذكاء الشخصى والحرص المتناهى حتى يستطيع خداع الاجهزة التى يعمل ضدها .. وعلى هذا الأساس تم تصنيف أشرف مروان كعميل مزودوج .. فهو كان يتمتع بكل هذه المواصفات الشخصية الخاصة .. فضلاً عن كونه يحتل مساحة كبيرة من الأهمية فى بلاده ..

وأوراق ملف العميل بابل .. تقودنا إلى رسم ملامح خاصة لرجل لوصح نصف ما قيل عنه لأصبح بحق- وكما وصفه فيما بعد "هوارد بلوم" الصحفى والمذيع التلفزيونى الأمريكى الشهير... والمحلل السياسى بمجمله "تايم" الأمريكية. بأنه كان أكثر الجواسيس تأثيراً فى الشرق الأوسط ..

غموض الرؤية .. !!

لكن هذا لا يمنع أن الصورة غير مكتملة الأركان يعترئها الغموض فى كثير من جوانبها .. أوراقها تجعلك فى حيرة شديدة وكأنك محبوس داخل حجرة، كلما أردت أن تخرج منها ومددت يدك لتفتح بابها، وجدت نفسك داخل حجرة أخرى بابها

ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

يقودك إلى غرفة أخرى .. وهكذا بلا نهاية .. وأكبر دليل على ذلك ما قاله "شلومو جازيت" مدير المخابرات الحربية الإسرائيلية الذى تسلم مهام عمله بعد حرب أكتوبر وبالتحديد فى شهر أكتوبر ١٩٧٤، حيث أكد لجريدة معاريف الإسرائيلية بعد مصرع أشرف مروان :

"أنه قرأ بنفسه ملف أشرف مروان مرتين دون أن يستطع حسم موقف الرجل .. هل كان معهم أم ضدهم .. لكن المؤكد أنه كان هناك .. وقبض من الموساد .."

أيهما تصدق ؟ !!

ونلتقط الخيط من تصريحات الرجل لنبدأ مناقشة الاحتمالات التى يطرحها الملف .. ونبدأ بالاحتمال الأول الذى دارت آلة الإعلام الإسرائيلية بكل قوتها فى اتجاه نشره عالمياً وهو .. أن أشرف كان عميلاً خالصاً للموساد .. فكيف ومتى تم ذلك ؟ وما هى ملامح الصورة التى تحاول المخابرات الإسرائيلية الترويج لها ؟.

وهناك روايتان مختلفتان لتجنيد أشرف مروان تحكيان كيف بدأت العلاقة بينه وبين المخابرات الإسرائيلية ..

أشرف فى عيادة طبيب يهودى .. !!

الأولى يحكيها "هوارد بلوم" فى كتابه "عشية الدمار" .. ويقول فيها إن أشرف ذهب إلى العاصمة البريطانية للعلاج من آلام فى المعدة تعتريه من آن لآخر .. واصطحب معه مظلوماً كبيراً فيه بعض أشعاع وتحاليل كان قد أجراها فى القاهرة .. وحجز لدى أحد الأطباء المشهورين فى علاج أمراض المعدة والجهاز الهضمى .. وعندما دخل أشرف حجرة الكشف ناول الطبيب المظروف الذى كان يحمله .. فتح

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الطبيب المظروف وتغيرت سريعاً معالم وجهه .. ثم أغلق المظروف ثانياً ووضع به بكل هدوء على المكتب من ناحية أشرف وهو يقول له إنه قد أعطاه مظروفاً آخر غير المقصود .. فابتسم أشرف وقال له: لا خطأ فيما حدث .. فقط عليك أن توصل هذا المظروف بطريقتك الخاصة إلى السفارة الإسرائيلية .. إبتسم الطبيب ببرود شديد معتذراً أنه لا يعرف أحداً بالسفارة الإسرائيلية .. تجاهل أشرف ما فعله .. وما قاله الطبيب .. وفاجأه بقوله إنه على علم تام بعمله مع السفارة بدليل زيارة شخصية عربية كبيرة له الأسبوع الماضى فى نفس العيادة، ولقائه مع "ياكوف هيرتزوج" مدير مكتب رئيسة الوزراء الإسرائيلية .. أسقط فى يد الطبيب ولم يستطع الرد .. تركه أشرف وترك له المظروف الذى كان يحمله وذهب إلى حال سبيله، بعد أن قام الطبيب بالكشف عليه وكتب له روصة بها بعض الأدوية عملاً بنصيحة أشرف حتى يبدو الأمر عادياً ولا يشك أحد .. بعدها بعدة أيام كان أشرف يتسوق بعض المشتريات من محلات "هاردوز" عندما اصطدم به أحد الزوار وأخذ يعتذر له وهو يساعده فى التقاط ما وقع من يديه على الأرض، بينما يخبر أشرف فى نفس الوقت بأنه عليه مغادرة المكان فوراً والذهاب إلى محطة المترو القريبة من المكان، ليركب ويتوجه إلى المتحف البريطانى ليقطع تذكرة لدخول غرفة الاطلاع الرئيسية بالمتحف فهناك من ينتظره لأمر هام .. فهم أشرف الرسالة وغادر مسرعاً المحل، وبينما هو فى طريقه إلى محطة المترو فوجئ بمن يحيط به ويدفعه بسرعة إلى إحدى السيارات التى كانت واقفة تنتظر بالقرب من المكان .. كان الرجل من الموساد بالطبع .. واصطحب أشرف إلى مكان ما تابع لهم حيث خضع بالتأكد للعديد من الاختبارات قبل أن يبدأ مشواره معهم .. ويؤكد بلوم أن القيادة الإسرائيلية عندما تيقنت من حقيقة أشرف اعتبرته هدية من السماء جاءتهم على طبق من ذهب .. وكانوا لا يتأخرون عن تلبية أية مطالب مالية له حتى أنهم أعطوه ما يوازي ٢٠ مليون دولار طيلة فترة عمله معهم .. هذه هى الرواية الأولى ..

لقاء السفارة الإسرائيلية ..

والثانية يحكيها "أهارون برجمان" أول من فجر القصة عالمياً بشكل مكثف .. بل اعتبرها بحسب تعبيره فيما بعد "أخطر خبطاته الصحفية" .. ويقول فى كتابه "تاريخ إسرائيل" : إنه ذات يوم وقبل ما يزيد عن ثلاثين عاماً دخل شاب أنيق إلى مقر سفارة إسرائيل بلندن ليطلب التحدث إلى مسئول المخابرات الإسرائيلية بالسفارة .. وعندما حضر رجل الموساد لم يتعرف على شخصية الزائر حتى بعد أن أسر له باسمه .. وقال له : -

"أريد أن أعمل لصالحكم على أن ازودكم بمعلومات لم تحلموا من قبل بالحصول عليها .. وأريد مالا مقابل المعلومات .. وصدقني أنه سيسركم دفع المال لي" .. لكن رجل الموساد الذى لم يتخيل حجم ولا قيمة الزائر المجهول بالنسبة له حاول صرفه فقال له الشاب : عليك فقط أن تبلغ إسرائيل باسمي وسأعود الأسبوع المقبل .

ويتابع برجمان أن المسئولين في الموساد لم يصدقوا أنفسهم بمجرد ما ردد أمامهم مندوب الموساد اسم الزائر المتطوع للتعامل معهم .. فقد كانت القصة أفضل كثيراً مما يتخيلون .. بعدها سافر مسئول من الموساد الى أوروبا وجلس مع الشاب الذى لم يكن سوى "أشرف مروان" .. وتم تجنيده .. وأصبح اسمه الحركى منذ ذلك الوقت "العميل بابل" ، وتلقى خلال الأعوام التي تلت هذا اللقاء مبالغ طائلة وصلت إلى ثلاثة ملايين دولار مقابل معلومات حول مصر زود بها الموساد ..

ثقة .. بلا حدود !!

إذن نحن كما قلنا أمام روايتين مختلفتين لبداية علاقة أشرف مع المخابرات الإسرائيلية .. أجمعت كلتاها على أن أشرف هو الذى سعى متطوعاً للتعاون مع

●● ملف العميل بابل ●●

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

المخابرات الإسرائيلية .. وهدفه الحصول على المال .. والمال فقط .. بدليل قوله .. على حسب رواية برجمان - وهى بالمناسبة الرواية الأكثر شيوعاً - "إنه سيسركم دفع المال لى" أى أنه كان يعدهم بما لم يحلموا به .. كما أجمعت الروايتان أن بداية العلاقة كانت عام ١٩٦٩ .. وأن أشرف مروان استطاع أن يكسب ثقة إسرائيل بلا حدود، وتمتع بأهمية ووضعية خاصة من لحظة تيقن الجانب الإسرائيلي من شخصيته .. بينما اختلفت الروايتان فى تحديد قيمة المبالغ التى حصل عليها أشرف من الموساد .. ووفقاً لرواية برجمان أنه بدايةً من شهر فبراير ١٩٧٠، زودهم بمعلومات "أصبحت هى الأكثر أهمية للجانب الإسرائيلي" .. كان من بينها وثائق من غرفة القيادة المصرية نفسها .. مثل محادثات عبد الناصر والرئيس السوفييتي ليونيد بريجنيف فى موسكو يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ وما دار فيها من معلومات والتى طلب خلالها عبد الناصر من نظيره السوفييتي تزويد مصر بأسلحة متطورة وقاذفات طويلة المدى .. وكذلك نسخة خاصة من الرسالة السرية التى بعث بها الرئيس السادات للرئيس السوفييتي بريجنيف بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٩٧٢ يكرر فيها مطالب عبد الناصر ..

جسر الثقة ١١

أما أهم تلك المعلومات وأبرز عوامل نجاح مروان فى إقناع الموساد بولائه .. حسبما يروي برجمان فى كتابه المشار إليه - وهو ما ذكرته أيضاً فيما بعد جريدة معارف الإسرائيلية فى عددها الصادر بتاريخ ١٩/١/٢٠٠٣ - فهى قصة أعقبت حادث إسقاط طائرة الركاب الليبية فى فبراير من عام ١٩٧٣ .. حيث كانت إحدى طائرات الركاب الليبية قد ضلت طريقها بسبب عاصفة شديدة واقتربت من الحدود الإسرائيلية .. فخشي الإسرائيليون من أن تكون الطائرة موجهة لضرب مفاعل ديمونة فى صحراء النقب فأسقطوها .. ومات كل من كان فيها وعددهم مائة وثمانية أشخاص، بينهم وزير الخارجية الليبي الأسبق صالح بوياسر .. والمذيع المصرية

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الشهيرة آنذاك "سلوى حجازى" .. وقد ثار الزعيم الليبي معمر القذافي وحمل برج المراقبة الجوية المصري المسئولية عن انحراف الطائرة .. وطالب السادات بالرد على إسرائيل مصرّاً على الانتقام بإسقاط طائرة إسرائيلية .. لكن السادات خشي من أن يؤدي القيام بعمل انتقامي إلى اندلاع حرب شاملة مبكرة لم يكن مستعداً لها فى هذا التوقيت وإلى إفساد خططه الحربية التي يعد لها منذ سنوات .. فتظاهر بالتجاوب مع الزعيم الليبي وعهد إلى مروان بإعداد خطة لشن هجوم انتقامي .. فاقتراح أشرف مروان أن يقوم فريق من خمسة فلسطينيين بضرب طائرة ركاب إسرائيلية أثناء إقلاعها من مطار روما بصاروخ (R . B . G⁽¹⁾) .. وتم التجهيز للعملية وقيل إن الصواريخ التي تم تجهيزها للعملية تم شحنها إلى إيطاليا مخبأة داخل عدة سجاجيد حملتها منى عبد الناصر زوجة أشرف بنفسها كهدايا خاصة لبعض أصدقائها هناك .. وتمكنت من دخول إيطاليا بها .. وبالفعل أبلغ أشرف مروان الموساد بالخطة وأرشدتهم عن المكان الذي تختبئ فيه المجموعة الفلسطينية المكلفة بتنفيذ العملية .. وقام الموساد بدوره بإبلاغ المخابرات الإيطالية واعتقل الفلسطينيون الخمسة فى إيطاليا قبل تنفيذ العملية .. وكسب أشرف مروان بذلك مصداقية وثقة غير مسبوقة على صعيد القيادة الإسرائيلية .. خاصة من جانب قادة الموساد .. وتجدر الإشارة إلى أن القصة نفسها ذكرها أيضاً الصحفى الإسرائيلي "عاميت كوهين" على صفحات جريدة معاريف الإسرائيلية، تعقيباً على مصرع أشرف مروان وفى محاولة منه للتأكيد على عمالة أشرف مروان للموساد .. كما ذكرها أيضاً بشكل مختلف قليلاً صلاح الدين السعدنى الملحق العسكرى المصرى فى ليبيا فى هذا التوقيت .. وذلك من خلال مذكراته .. وأضاف أن قائد المجموعة الفلسطينية كان يدعى أمين الهندى الذى يشغل حالياً منصب قائد جهاز الأمن العام الفلسطينى فى غزة .. وأن الذى قام بحمل ونقل الصواريخ إلى روما وسلمها بنفسه إلى أمين الهندى كان هو أشرف مروان نفسه الذى فكك تلك الصواريخ .. وحملها معه فى حقائب

(١) دُكرَ فى بعض الروايات الأخرى أن الصواريخ كانت من طراز (سترلا)

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

دبلوماسية دخل بها الأراضي الإيطالية دون تفتيشها.. وكانت الخلية الفلسطينية تتخذ من أحد المنازل بقرية تسمى (أوستيا) بالقرب من الطريق لمطار روما مقراً لها.. وتم مهاجمة المنزل والقبض على أفراد الخلية الفلسطينية بواسطة شرطة مكافحة الإرهاب الإيطالية.. وكان ذلك يوم ٦ سبتمبر سنة ١٩٧٣.. قبل شهر واحد بالتمام والكمال من اندلاع حرب أكتوبر.

مصادر ثلاثة !!

وبمرور السنين أصبحت إسرائيل أكثر تعلقاً بالمعلومات التي يقدمها لهم أشرف، إلى درجة أنه "طالما لم يقل بابل أن حرباً ستتشب فإن شعبة الاستخبارات العسكرية لن تفكر بأن الحرب على الأبواب، حتى وإن كانت كافة الدلائل تشير إلى اقتراب نشوب الحرب" .. ويؤكد ذلك المؤلف الإسرائيلي "إبرام رايونو" في كتابه "حرب يوم الغفران" والذي قضى أكثر من عشر سنوات يجمع مادته من ملفات أرشيفي كل من المخابرات العامة الإسرائيلية "الموساد" والمخابرات العسكرية "أمان" .. ويقول في الكتاب إن إسرائيل كان لديها ثلاثة مصادر على قدر كبير من الخطورة تمددها بالمعلومات الهامة عن مصر وسوريا تحديداً، وباقي دول المواجهة العربية بشكل عام، والمصادر هي : المخابرات المركزية الأمريكية .. والعاقل الأردني الملك حسين .. وأشرف مروان ..

ترشيح !!

أما المعلومة الأخطر على الإطلاق التي قام أشرف بتسريبها للموساد بزعمهم، فهي تلك المعلومة الخاصة بتحديد يوم وساعة حرب أكتوبر قبل أقل من يومين من نشوبها .. فمن واقع ما كتبه المؤلف الإسرائيلي "برجمان" فإنه في تمام الساعة

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الواحدة والنصف من صباح الخميس (٤) أكتوبر قام أشرف مروان بالاتصال تليفونياً بمسئول متابعته فى الموساد، وقال له كلمة واحدة: "ترشيح"، وهى تعنى حسب الشفرة المتفق عليها بينهم أن الحرب على وشك القيام .. وبعدها طلب أشرف منه ضرورة تجهيز لقاء عمل فوري مع رئيس الموساد فى لندن ظهيرة اليوم التالى .. ولخطورة المعلومة قام مسؤول الموساد بالاتصال برئيس الجهاز فى منزله وأيقظه من النوم ليخبره بالأمر فقام بدوره بالاتصال بكل من موشيه ديان ووزير الحربية .. وجولدا مائير رئيسة الوزراء وأبلغهما بالأمر .. وفى اليوم التالى تم عقد اجتماع على مستوى القيادة العليا فى إسرائيل، وتم فيه الربط بين ما أبلغهم به مروان، وبين التقرير الذى حملة إليهم قائد الوحدة ٨٤٨ التابعة للمخابرات العسكرية الإسرائيلية المسؤولة عن التقاط الأحاديث، أصبح اسمها فيما بعد الوحدة ٢٨٠٠ وكانت قد تابعت وتلقّت تحذيرات واضحة عن مغادرة المستشارين الروس وعائلاتهم فجأة لمصر وسوريا فى نفس الليلة التى تلقوا فيها تحذير ومكالمة أشرف مروان .. وتم الربط بين الأمرين بدلالة واحدة هى أن هناك نية فعلية لدى مصر وسوريا لخوض الحرب .. وعليه انتهى الاجتماع بتكليف رئيس الموساد بالسفر فوراً إلى لندن للقاء أشرف .. وهناك التقى الاثنان فى إحدى الشقق التابعة للموساد، واستمر لقاؤهما أكثر من ساعتين أخبره مروان خلاله بأن مصر وسوريا سوف ستشنان حرباً شاملة مستغلّتين انصراف الجبهة الإسرائيلية وقادتها للاحتفال بعيد الغفران اليوم التالى السبت الموافق السادس من أكتوبر، وذلك قبل حلول الظلام وتحديداً فى الساعة السادسة من مساء السبت .. وأمده ببعض المعلومات الأخرى الهامة التى تتعلق بخطة العبور .. وفى نهاية اللقاء لم ينس مروان أن يذكر رئيس الموساد بضرورة تحويل مبلغ ٢٠٠ ألف دولار لحسابه السرى .. وبعد اللقاء قام رئيس الموساد بإرسال برقية للقيادة العليا هناك وصلتهم الساعة الثانية والدقيقة ٤٠ من صباح السادس من أكتوبر كان محتواها كالاتى :

"الصفقة التجارية ستم اليوم بتوقيع العقد مع حلول الظلام"

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

خداع استراتيجي ..

بعدها بساعة بالضبط كان "إسرائيل ليور" المستشار العسكري لجولدا مائير يسلمها البرقية .. وفي تمام الرابعة والنصف صباحاً كان موشيه ديان يقلب البرقية في يده وهو جالس أمامها يسأل نفسه: هل المصريون جادون في فعلها حقاً هذه المرة .. أم أن سيناريو ما حدث قبل أقل من ١٥٠ يوماً وبالتحديد في ١٥ مايو من العام نفسه سوف يتكرر هذه المرة أيضاً .. بعد أن تسببت برقية مشابهة من قبل في تكبدهم ما يزيد عن ٤٥ مليون دولار التهمت حوالى ٤٠ ٪ من ميزانية إسرائيل لتعبئة ونشر قواتها بطول القناة ثم سحبها مرة أخرى من خطوط المواجهة وفقاً لخطة عرفت باسم "أبيض وأزرق" ١٩. كان الأمر بلا شك محيراً للغاية لدى القيادة الإسرائيلية .. وكان في مخيلتهم التحذير السابق الذى وصلهم من قبل في ربيع عام ٧٢ عبر أشرف مروان أيضاً محذراً بشدة من حرب لم تحدث .. ويقول برجمان إن ذلك كان بمثابة الخدعة الأخرى التى أوقعهم فيها الرجل لأن الحرب لم تبدأ مع حلول الظلام .. بل اندلعت بالفعل قبلها بأربع ساعات في تمام الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم التالى، وهى فترة كانت كافية لتحقيق النصر المطلوب حيث لم يتمكن الجيش الإسرائيلي من إتمام تعبئة قواته، بعد أن بدأت القيادة الإسرائيلية ذلك بالفعل في العاشرة من صباح السادس من أكتوبر ..

احتمالات أخرى ..

ونتوقف قليلاً لنقرأ تلك الأحداث من زاوية أخرى .. ونتساءل: هل كان أشرف مروان يتصرف من تلقاء نفسه ورغب أن يمسك العصا من المنتصف ويكسب ثقة الإسرائيليين، وفي نفس الوقت لا يسرب موعد الحرب الصحيح حتى لا تأخذ إسرائيل حذرهما ؟ .. فى هذه الحالة سيكون احتمال كونه يعمل لصالحه فقط هو الاحتمال الأقرب للتصديق .. لكن سوف نساير مؤقتاً الادعاء بعمالة أشرف مروان للموساد وتسريبه لموعد الحرب لنرى إلى أين ستقودنا احتمالاته ..

الذراع اليمني للسادات .. !!

ونعود لبرجمان ونتوقف هذه المرة عند كتابه الأول الذى صدر عام ١٩٩٩، بعنوان حروب إسرائيل " ISRAEL's WARS " وتعرض فيه برجمان أيضاً لقصة ذلك الشخص المجهول الذى وصفه فى كتابه بأنه " الذراع اليمنى للسادات " .. وكان أشرف هو المقصود .. فهل لم يكن السادات وهو رئيس جمهورية يعرف أين يروح ويجئ ذراعه اليمنى ويتركه هكذا يسافر إلى لندن قبل اندلاع الحرب بـ ٢٤ ساعة فقط، دون أن يعرف عنه شيئاً حتى وإن كانت مهام عمله فى الرئاسة بعيدة تماماً عن المؤسسة العسكرية ؟! .. وهل يحتاج إبلاغ أشرف للموساد بتفاصيل ساعة الصفر ذهابه خصيصاً إلى لندن فى مثل هذا التوقيت الهام والحساس، الذى يتطلب بقاءه بجوار القيادة التى كان يشغل بها آنذاك منصباً غاية فى الأهمية، وكانت تعيش فيه مصر كلها حالة قصوى من الاستنفار والتعبئة فى كل المجالات تمهيداً ليوم الغد الحاسم ؟!

كيف خرج من المطار ؟ .. !!

وكيف غادر أشرف القاهرة إلى لندن يوم ٥ أكتوبر، والثابت تاريخياً أن السادات قد أصدر أوامره فى نفس اليوم بإغلاق المطار .. ألم يذكروا فى رواياتهم المتعددة ومن خلال الملفات التى أفرجوا عنها فيما بعد بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على حرب أكتوبر، أنه قد أبلغ متابعيه فى الموساد تليفونياً بموعد الحرب وتبقى بعض التفاصيل التى كان من الممكن إبلاغهم بها وهو فى مكانه بالقاهرة بأى شكل، إذ لن يعدموا لقاءه واستلام أو معرفة هذه التفاصيل بصورة أو بأخرى، بدلاً من أن يعرض نفسه للخطر بالسفر إلى لندن ولقاء رئيس المخابرات الإسرائيلية نفسه فى شقة مملوكة للموساد، فى وقت كانت بلا شك أعين المخابرات المصرية فى أشد حالات انتباهها ويقظتها، لأنها كانت تعيش لحظات فاصلة فى تاريخ بلد يستعد منذ سنوات لذلك اليوم .. الخلاصة أنها رواية غير منطقية وغير مقبولة على الإطلاق ..

الضوء الأخضر

التفسير الوحيد لهذه القصة من بداياتها إلى نهاياتها - بفرض حدوثها - يكمن فى أن أشرف مروان كان يعمل لصالح المخابرات المصرية .. وأن القيادة المصرية أعطت أشرف الضوء الأخضر ليبلغ الإسرائيليين ذلك .. فسفر أشرف إلى لندن للقاء مسئول الموساد فى هذه الساعات العصيبة، لابد أنه كان يعلم وتخطيط خاص من القيادات العليا بل ومن السادات شخصياً .. وأنه كان بذلك موفداً فى مهمة خارجية سرية لا تقل خطورة عن المهام التى كانت كل القيادات فى مصر تقوم بها فى الوقت نفسه لوضع اللمسات الأخيرة للمعركة الفاصلة التى كانت ستتدلع بعدها بعدة ساعات ..

مغامرة غير محسوبة ..

وهذا يقودنا إلى تحليل آخر قد ينسف هذا الطرح من أساسه ليؤكد كذب الجانب الإسرائيلى فى هذه الرواية .. وهو هل كانت أربع ساعات كفيلاً فى ذهن القيادة المصرية لتحقيق الانتصار الذى يسعون إليه ؟. وهل لا تكفى فى نظر القيادة المصرية أربعون ساعة كانت تفصل بين إبلاغ أشرف أول مرة لمسئول متابعته فى الموساد تليفونياً بموعد الحرب واندلاعها، حتى يأخذ الجانب الإسرائيلى احتياطاته اللازمة ويعد للأمر عده ؟. بل ويتمكن مثلاً من القيام بهجوم مضاد ينهى المعركة قبل أن تبدأ ؟. ألا يعتبر ذلك نوعاً من المغامرة غير المحسوبة من جانب مصر قد تؤدى فى النهاية وفى لحظة واحدة لضياع مجهود وإعداد دام سنوات ؟؟

إذن يبقى الادعاء بأن أشرف قد سرب موعد وساعة حرب أكتوبر بالتحديد أمراً غير منطقي، خاصة مع تأكيد الرئيس المصرى حسنى مبارك فيما بعد أن ساعة الصفر لم يكن هناك من يعرفها سوى خمسة أشخاص فقط ذكرهم بالاسم، ولم

●● ملف العميل بابل ●●

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

يذكر بينهم أشرف مروان .. وبالتالي لم يكن من الطبيعي ولا من المنطقي حتى بزعم قربه الشديد من الرئيس السادات أن يطلع عليه عليها .. لكن من الممكن أن يكون قد استطاع إقناع الجانب الإسرائيلي بقدرته على ذلك وفقاً لتدبير مقصود من الجانب المصرى .. خاصةً أنه إن ثبت الادعاء الإسرائيلي فى هذا الشأن، فيكون بذلك وقع الهزيمة أصعب، لأنهم تم تحذيرهم منها ولم يستطيعوا تجنبها أو على الأقل تخفيف صدمتها، وكانت هزيمتهم فيها منكراً .. فكيف كان سيصبح وقعها عليهم إذا لم يتم تحذيرهم من الأساس؟ .. ولو كان قد توافر معلومات لدى القيادة الإسرائيلية تحدد موعد الحرب مثلما يدعون، لكان الجيش الإسرائيلي سيستعد أقل درجات الاستعداد من باب الاحتمالية .. لكن وضع الجنود والجيش الإسرائيلي لحظة العبور كان يؤكد العكس تماماً .. فعندما كان المصريون يعبرون القناة .. كان الجنود الإسرائيليون بالميوهات والشورتات .. يلهون ويلعبون على الشاطئ الشرقى منها ..

من يصدقهم .. !!

وبعض المؤرخين والكتاب الإسرائيليين مقتنعون تماماً أن أشرف من المستحيل أن يكون قد صرح للجانب الإسرائيلي بموعد الحرب، وهو ما يؤكد البروفيسور اليهودى أوربريوسف فى كتابه "المشاهد الذى نام" .. والأهم أن مسار حرب أكتوبر فيما بعد ينفى تماماً مزاعمهم فى هذا الشأن .. فما حدث فى السادس من أكتوبر ٧٣ كان بمثابة صفة كاملة لجميع الأجهزة الأمنية والمخابراتية الإسرائيلية .. حيث لم يعرف التاريخ خطة حرب استراتيجية مكونة من ٤٠ بنداً مختلفاً على كافة الأصعدة المدنية والعسكرية والمخابراتية، مثلما حدث فى معركة العبور التى مازالت تدرس إلى يومنا هذا فى العديد من المعاهد العسكرية العالمية المختلفة ..

•• ملف العميل بابل ••

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

بين النفي والتأكيد .. !!

والسؤال الآن : من يستطيع أن يؤكد أو ينفي تلك المعلومة القادمة من ملفات جهاز مجروح في كفائته العملية .. وَقَعَتْ شهادة وفاته في اليوم الذي لن ينساه وهو السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ودفن جثمانه في قبر الهزيمة المرة مُتَكَفِّناً بالفشل الذريع لبطولاته الوهمية!.

حكاية الملك حسين !!

ويقال إن هناك معلومات مؤكدة وصلت لاسرائيل عن موعد قيام الحرب عن طريق الملك حسين، ويقول أوربر يوسف في كتابه إن العاهل الأردني التقى برئاسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير في مقر الموساد بتل أبيب يوم الخامس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٣، وحذرها من أن العرب يعدون لحرب وشيكة .. ونرفض أيضاً ما يتردد في هذا الشأن من أن هذه المعلومات وصلت من الملك حسين أو أي حاكم عربي آخر.. فأى حاكم مهما بلغ به الاستهتار وعدم تقدير الأمور لا يصل به الحال إلى هذه الدرجة .. فما هو الدافع الذي يدفع مثل هذا الحاكم إلى إخبار اسرائيل بذلك .. هل يطمع في العمل مع الموساد مثلاً وأن يكون تحت حمايتهم؟ .. أم كان يطمع في أموالهم!؟ .. وكلا الاحتمالين يبلغ من التفاهة وعدم المنطقية حداً يجعلنا نسخر ممن يرددونه بالإضافة إلى أن الملك حسين لم يكن من السذاجة ليسافر إلى تل أبيب ويدخل بقدمه مبنى الموساد لمقابلة رئيسة الوزراء..

أين .. ومتى تم تدريب أشرف!؟

والتساؤل البديهي هنا: كيف سارت العلاقة بين أشرف مروان والموساد خلال الفترة منذ بداية تجنيده عام ١٩٦٩ والتاريخ المشار إليه في رواية برجمان فبراير ١٩٧٠ .. هل قضى أشرف مروان تلك المدة مثلاً كفترة تدريب لإعداده من جانب الموساد بالشكل

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الذى يتناسب مع أهميته المشار إليها بالنسبة لهم .. وأين تم تدريبه؟ .. هل فى القاهرة ؟ .. أم فى بلد آخر "لندن" مثلاً التى تم تجنيده فيها ويتواجد بها الفروع الخارجية الرئيسية لمعظم أجهزة المخابرات فى العالم ومن بينها الموساد بالطبع؟ .. وسواء كان هنا أم هناك أم فى أية دولة أخرى لم يكن أشرف مروان يستطيع مغادرة مصر أو التحرك داخلها أو خارجها بسهولة، نظراً لحساسية عمله فى مكتب صهره الرئيس عبد الناصر الذى كان وقتها على قيد الحياة .. عموماً فات الروايات الإسرائيلية على تعددها أن تجيب لنا عن هذا السؤال .. لأن المؤكد أنه مثله مثل أى جاسوس يدخل عالم الجاسوسية للمرة الأولى يجب أن يتم تدريبه بالشكل الذى يتناسب مع الدور المنوط به تأديته .. وتبعاً لأهميته الشخصية بالنسبة للجهاز الذى يتجسس لصالحه، وأشرف مروان باعترافهم أنفسهم كان على قمة الهرم من الأهمية بالنسبة لهم..

أوهام الموساد

وإذا قيل إن الاختراق وصل إلى داخل بيت الرئيس وأسرته .. ثم مكتب الرئيس السادات ومكاتب كل الحكام العرب عن طريق نفس الشخص كما يدعون .. فما هى إمكانية حدوث ذلك ؟ .. الإجابة الوحيدة أنه ما كان الموساد أو غيره من أعتى أجهزة المخابرات بقادر على اختراق المؤسسة الرئاسية لأية دولة بهذه السهولة .. فإن اختراق المؤسسة الرئاسية ليس بالشئ الهين ولا اليسير، وإنما يخضع كل من يحاول الاقتراب من تلك المؤسسة سواء فى مصر أو فى أية دولة أخرى للتشريح الأمنى والمخابراتى بشكل غير عادى .. وتلك القصة فى مجملها ما هى إلا حلم حاول الموساد مراراً وتكراراً الوصول إليه وتحقيقه من قبل، إلا أن الفشل الذريع كان دائماً هو مصير تلك المحاولات .. فحاولوا أن يحققوا بالادعاء الكاذب ما فشلوا فيه على أرض الواقع .. والقصة التالية هى الأشهر فى هذا السياق ونسوقها للتأكيد على أن ذلك مستحيل الحدوث بهذا الشكل الساذج ..

جاسوس فى قصر الرئيس ١١

وكان بطل تلك القصة شخص يدعى "د. على العطفى" وهو المدلك الخاص للرئيس أنور السادات.. وأشهر طبيب علاج طبيعى فى مصر أثناء فترة السبعينيات.. وأول عميد للمعهد العالى للعلاج الطبيعى.. وبوسيلة أو بأخرى تم ترشيحه للرئيس السادات ليعمل لديه كمدلك خاص.. وبدأ الرجل يدخل ويخرج على الرئيس فى منزله ومكتبه بحرية شديدة.. لكن أجهزة المخابرات المصرية لم تكن لتترك أى شخص يتمتع بهذه القرب من المؤسسة الرئاسية دون أن تبحث وتفتش وراءه.. وكانت المفاجأة التى صعد السادات وهو يسمعها من رئيس جهاز المخابرات المصرية أن شهادة الدكتوراه التى يحملها العطفى من إحدى الجامعات الأمريكية مضمومة ولا أصل لها فى السجلات الجامعية هناك.. وتم تجنيده فى امستردام بهولندا بعقد صفقة خاصة معه تقضى بمنحه شهادة دكتوراه فى تخصصه مقابل العمالة للموساد.. وهو ما وافق عليه فوراً.. وعقب عودته الى مصر انضم بموجب شهادة الدكتوراه المزورة إلى طاقم التدريس بكلية التربية الرياضية.. وتدرج فى مناصبه التدريسية حتى أصبح أول عميد للمعهد العالى للعلاج الطبيعى بعد تأسيسه وأشهر طبيب علاج طبيعى فى مصر.. ثم انضم لطاقم أطباء الرئيس وأسرته وأصبح مدلكاً خاصاً له قبل أن تُكتشف حقيقته ويتم تقديمه للمحاكمة، حيث حكم عليه فى البداية بالإعدام شنقاً بتهمة الخيانة العظمى.. وعندما كان السادات يجلس مع الوفد المصرى وأمامه مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى لوضع البنود النهائية لاتفاق كامب ديفيد، فوجئ السادات ببيجين يشترط عليه أن يتم تسليم على العطفى للسلطات الإسرائيلية كأحد أهم شروط الاتفاق.. وعندها مد السادات يده وتناول غليونه وبدأ يشعله على طريقته الشهيرة وهو ينظر لرئيس المخابرات المصاحب له فى الوفد المصرى نظرة ذات مغزى^(١).. وفكرهنية ونظره يتنقل بين الاثنين: مناحم بيجين الذى كان ينتظر رده.. ورئيس المخابرات الذى ينتظر قراره.. وعندها قال السادات لبيجين، وهو ينظر ثانية لرئيس المخابرات إن طلبه جاء متأخراً فقد تم بالفعل تنفيذ حكم الإعدام فى العطفى فى اليوم نفسه..

(١) كان رئيس المخابرات المصرية المصاحب للرئيس السادات فى وفد مباحثات كامب ديفيد هو السيد/ كمال

حسن على وزير الدفاع ورئيس الوزراء المصرى فيما بعد..

إعدام بالتليفون .. !!

ولحظتها استأذن رئيس المخابرات ليخرج من الاجتماع لأمر ما .. وبمجرد خروجه قام على الفور بالاتصال بنائبه في مصر وأمره بالتحفظ على (على العطفى) في أحد السجون السرية وإشاعة أنه قد تم إعدامه في نفس اليوم صباحاً بين صفوف باقى نزلاء سجن طرة حيث كان يقيم.. وذلك حتى يستطيع السادات أن يستغل العطفى ككارت ضغط مستمر على الجانب الإسرائيلى عاد على أثرها رئيس المخابرات ليرد على نظرة السادات السابقة له؛ بنظرة أخرى كان مضمونها ما يريده السادات الذى لم يكن ليسمح لإسرائيل أن تفاوضه على استعادة مواطن مصرى الجنسية تجسس لصالح إسرائيل وكان من بين الأهداف الرئيسية لتجنيد اغتيال السادات شخصياً بكريم خاص كان الموساد على وشك تسليمه إياه..

وقاحة وأكاذيب العطفى !!

بلغ من وقاحة على العطفى أنه أثناء إقامته بالسجن كان يتباهى بعمالته للموساد، وادعى أنه كان مدلكاً خاصاً لعبد الناصر قبل السادات، وأنه هو الذى تسبب فى موته عن طريق تدليك جسده بنفس الكريم.. وهو ما ثبت كذبه بدليل أن جهات التحقيق تجاهلت الموضوع برمته ولم تلتفت إلى ادعاءاته الكاذبة.. (١)

وانقلب السحر على الساحر !!

أما اتهام أشرف مروان بالعمل كجاسوس لصالح إسرائيل .. فهو أمر تعثره شكوك كثيرة للأسباب الآتية :

(١) إنظر القصة الكاملة لعلى العطفى فى كتاب (جاسوس فى قصر الرئيس) الصادر عن دار الكتاب العربى..

لنفس المؤلف..

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

أن الذي كشف النقاب عن عمل مروان كجاسوس لحساب إسرائيل .. هي مصادر إسرائيلية .. مدعين أنه قدم لهم خدمات جليلة .. وهو أمر يثير الريبة .. فمن المستحيل أن تكشف مصادر مخابراتية عن عملائها العاديين .. فما بالناس بشخص في قدر وأهمية مروان ١٩. بل العكس هو الصحيح .. فالمفروض في مثل هذه الحالات أن يحاط الرجل بأكبر قدر من السرية .. والحماية، على الأقل مكافأة له على ما أسداه لهم من خدمات يزعمون أنها كانت جليلة .. والأرجح أن تكون إسرائيل قد قصدت من هذا التسريب المتعمد .. ضرب عدة عصافير بحجر واحد، لتشويه النظام المصري بكل رموزه .. خاصة الحقبة الناصرية .. ودفع المخابرات المصرية للكشف عن بعض أوراقها أو أساليب عملها . وتحسين صورة الموساد التي تتدهور كل يوم.

كما أن الكشف عن هذا الملف تم في سياق صراع غير مسبوق (سيلي توضيحه في موضعه) بين "إيلي زعيرا" .. رئيس المخابرات العسكرية .. و "تسيفي زامير" .. رئيس الموساد .. وكلاهما كان يشغل أثناء حرب أكتوبر منصباً على درجة عالية من الأهمية والخطورة، وممثلاً معاً جناحى أجهزة المخابرات الإسرائيلية مما اقتضى أن تتسم طبيعة العلاقة بينهما بالتعاون والتكامل .. وليس الخلاف والصراع الذي وصل لساحات المحاكم وشاشات التلفزيون .. وصفحات الجرائد .. بعد أن قام تسيفي زامير^(١) برفع دعوى مباشرة أمام المحكمة المركزية في إسرائيل، يتهم فيها إيلي زعيرا رئيس وحدة الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ بالإساءة إلى جهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد"، والإساءة إليه - زامير - هو شخصياً، ومطالباً بتعويض مليون شيكل عما سببت له إساءات زعيرا من أضرار نفسية وأدبية كبيرة باتهامه لزامير بأنه ضل عن عمد القيادة الإسرائيلية في حرب ٧٣ مما ألحق بإسرائيل أضراراً فادحة .. إلا أن المحكمة نفت عن زعيرا التهمة .. ولحساسية القضية أحالتها المحكمة إلى لجنة خاصة للفحص برئاسة قاضى محكمة العدل العليا الإسرائيلية السابق "تيودور أور" ..

(١) هو واحد من أشهر من رأسوا جهاز الموساد وتولى تحديداً رئاسته في الفترة ما بين عامي (١٩٦٨ - ١٩٧٤) .. وهو من أصل بولندي هاجرت به أسرته إلى تل أبيب عام ١٩٢٥ وكان عمره وقتها سبعة شهور فقط .. وبعد أن كبر التحق بالجيش الإسرائيلي وشارك في حرب ١٩٤٨ ووصل إلى رتبة ميجور ثم عمل كملحق عسكري بالسفارة الإسرائيلية في لندن عام ١٩٦٦

.. ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

وليس من المعقول أن يكون كلا المسؤولين الصهيونيين قد تصرف على هذا النحو من تلقاء نفسه، بل الاحتمال الأقرب للتصديق هو أن كل هذا قد تم وفق خطة موضوعة بدقة شديدة من الدولة التي يمثلانها معاً للتعتيم على إخفاقات جهازهم المخبراتي المتكررة .. وكمحاوله لاستعادة الثقة فيه من جانب الشعب الإسرائيلي والرأى العام هناك .. ولكن انقلب السحر على الساحر .. وخسروا بقصتهم المزعومة تلك أرضاً جديدة كانوا فى أشد الاحتياج إليها، فى هذا التوقيت الذى توالى عليهم فيه الضربات الموجعة مخبراتياً بسقوط العديد من عملائهم فى قبضة المخبرات المصرية مثل عزام عزام .. وفائقة مصراتى ووالدها .. وشريف الفلالى الذى توفى فى محبسه بعد مصرع مروان بأيام قليلة .. والطار وغيرهم ..

١٤٠ جلسة استماع .. !!

ثم لماذا تعاملت إسرائيل مع عميل وصفته المحكمة العليا هناك فيما بعد بأنه زرع فى نفوسهم نوعاً من عدم الثقة فيما يبلغهم به من معلومات خاطئة بخصوص موعد الحرب ؟. حيث خلصت المحكمة من خلال اللجنة الخاصة التى أمرت بتشكيلها برئاسة «شيمون أجرانان»- الرئيس السابق للمحكمة العليا فى إسرائيل والذي عهد إليه بالتحقيق فى الهزيمة أمام القوات المصرية عام ١٩٧٣- وعلى مدار ١٤٠ جلسة استماع عقدتها المحكمة، إلى أن أشرف مروان واعتباراً من عام ١٩٧٢ قام بإبلاغ إسرائيل ثلاث مرات بمواعيد خاطئة لإندلاع الحرب .. فهل كان هذا هو الدور الحقيقى المكلف به أشرف مروان وهو العمل على استنزاف إسرائيل مادياً وتكبيدهم خسائر فادحة عن طريق تعبئة وفض الجيش من وقت لآخر .. كنوع من الحرب الإستراتيجية .. التى نجح فيها المصريون بإعتراف الإسرائيليين على لسان العديد من قادتهم مثل جولدا مائير وموشيه ديان وغيرهما فى مذكراتهم الخاصة التى أعقبت الحرب وهى بالعشرات ؟! .. وثم لماذا لم يذكر هؤلاء حرفاً واحداً عن حكاية أشرف مروان .. ولم يشيروا إلى شخصه .. أو حتى أحد أسمائه الكودية "الصهر" .. أو "العميل بابل" .. أو غيرها ؟ !.

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

كما أكدت تحقيقات اللجنة المشار إليها أن أشرف مروان ذهب بنفسه فعلاً إلى السفارة الإسرائيلية في حي كنجستون بلندن عام ١٩٦٩ أثناء حياة الرئيس عبد الناصر، ودخل السفارة وقال إنه يعرض خدماته عليهم وقد أثار هذا تعجب الإسرائيليين أنفسهم لمعرفةهم بأن السفارة مرصودة جيداً .. فكيف لشخص مثله أن يغامر حتى بالاقتراب منها ؟؟ .. وكيف لم يعرفه مندوب جهازهم المخبراتي من اللحظة الأولى وهو الشخص الذي كان ملء السمع والبصر في بلده مصر، وصوره تملأ الجرائد والمجلات من لحظة ارتباطه بأبنة الرئيس، الذي كانوا يرصدون ويتابعون كل المحيطين به ومن الطبيعي أن يكون لديهم ملفات خاصة عن كل منهم ..

أشرف يركب بساط الريح .. !!

بفرض أن هذا اللقاء المزعوم الذي تم في مبنى السفارة الإسرائيلية بلندن حدث بالفعل فهل كان بين أشباح .. حتى لا ترصده المخابرات المصرية ولا أى من أجهزة المخابرات الأخرى التى تتخذ من العاصمة البريطانية مسرحاً لا تتوقف عليه عروضها المخبراتية طوال الوقت ؟! .. ولا حتى المخابرات البريطانية وهى واحدة من أقوى أجهزة المخابرات فى العالم ؟! .. والتى تشير وثائقها الرسمية ^(١) فيما بعد إلى معرفتها الجيدة بالرجل ومتابعتها له من بعيد مع توصية شديدة بإخفاء إسمه وذلك وفقاً للبرقية التى أرسلها السير "ريتشارد ديمونت" (السفير البريطانى فى القاهرة فى فترة السبعينات) إلى قسم إستقبال البرقيات الفورية بالخارجية البريطانية، وذلك تحديداً فى ٢٥ أغسطس ١٩٧٢ والتى حملت رقم ١٢٢٣ بشأن ما أسفرت عنه زيارة السيد "ريجنالد أندرسون" مسئول مبيعات الأسلحة مع الجانب المصرى حيث حضر تلك المفاوضات الرئيس المصرى السادات ومعه الفريق محمد صادق وزير الحربية ومروان، الذى لعب دوراً هاماً فى الاتفاق بين الجانبين وترتيبات ما قبل وبعد زيارة

١ - انظر صورة الوثيقة فى الملحقات .

.. ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الوفد الإنجليزي.. ويوصى السفير البريطاني رؤساءه الذين تلقوا البرقية أن يظل اسم أشرف مروان سرياً في حالة تبادل البرقية مع أماكن أخرى .. وبين السطور لم يكن خافياً نبذة السفير البريطاني التي تفيض إعجاباً بهذا الشاب الصغير الذي استحوذ على ثقة السادات، ودوره الهام معه في تأمين صفقات السلاح مع بريطاني..

٢٤ ساعة مراقبة .. ١١

التعقيب الوحيد لنا على ذلك وعلى ما أكدته تحقيقات المحكمة الإسرائيلية المشار إليها سابقاً أن شخصية بمركز ووضع أشرف مروان في الحكومة المصرية وقتها ويتمتع بحصانة دبلوماسية كانت تجعل مثله خاضعاً طوال فترة إقامته بأية دولة يذهب إليها للمتابعة الأمنية على مدار ٢٤ ساعة، ما كان يستطيع أن يتحرك بكل هذه الحرية ويذهب هكذا بمنتهى السهولة إلى مقر السفارة الإسرائيلية في لندن، والتي بحسب الرواية الإسرائيلية كانت مأمونة تماماً مثل غيرها من باقى السفارات الأجنبية بالعاصمة البريطانية أو غيرها وتخضع للمراقبة المخبرية والأمنية المستمرة طوال ٢٤ ساعة.. فكيف لم يلحظ أحد ذلك .. خاصة أن الشخص الذى ذهب للسفارة لم يكن كما قلنا شخصاً عادياً ١٩. الاحتمال الذى فات الموساد عند ترويجهم لتلك القصة والذى كان من الممكن أن يلحق ببعض ظلال من المصادقية عليها أن أشرف مروان ذهب إلى هناك متكرراً .. لكن المؤكد أنه لم يكن لابساً لطافية الإخفاء .. أو هبط إليهم فى سفارتهم هناك على بساط الريح ..

وهبطت الساعة على رؤوسهم .. ١١

لماذا فوجئ قادة إسرائيل مثل جولدا مائير وموشى ديان وغيرهم بخبر الحرب التى أفقدتهم أعصابهم فلم يكن لديهم أدنى علم عن ساعة الصفر .. وإذا كان أشرف مروان قد أبلغهم بموعد الحرب قبلها بـ ٤٨ ساعة .. ولماذا لم يأخذوا حذرهم على الأقل من باب الاحتياط كما قلنا سابقاً ٩ ..

ولماذا وافق هؤلاء القادة على أن يعقد الجنرال "إلياهو زاعير" رئيس أركان الجبهة الجنوبية الإسرائيلية مؤتمراً صحفياً خاصاً قبل الحرب بساعة واحدة .. ليؤكد خلاله للصحفيين الإسرائيليين أن أنباء الحشود المصرية كاذبة .. وأثناء المؤتمر جاءته ورقة صغيرة نزلت عليه كالصاعقة أخرسته تماماً ليهزول من مكانه كالمجنون تاركاً المؤتمر الصحفى الذى دعا بنفسه إليه .. ويلقى فى عصبية شديدة بالورقة التى كانت عبارة عن برقية مضمونها أن المصريين يعبرون الآن قناة السويس.. وقام أحد الصحفيين بالتقاط الورقة وتلاوة ما جاء بها على باقى الصحفيين ١٩.

أجمعت معظم الكتابات العالمية التى صدرت عن الشرق الأوسط وتناولت حقبة السبعينيات^(١) أن قادة أمريكا فى ذلك الوقت مثل نيكسون وكيسنجر- الذى كان يقضى الوبك إند بأحد فنادق نيويورك- تم إيقاظهم من النوم لإخطارهم باندلاع الحرب .. مما يؤكد جهل أجهزتهم المخبرانية تماماً فى هذا الشأن .. ولو كان الموساد لديه علم بالموعد لكان القادة الإسرائيليون قد أبلغوا نظراءهم الأمريكان بالموقف.. فلم تصعقهم المفاجأة .. التى حملت إليهم أنباء ما لم يكونوا يتوقعون حدوثه على الأقل فى هذا التوقيت .. ولولا الجسر الجوى الذى أرسلته القيادة الأمريكية فيما بعد لنجدة حليفاتها فإن الحرب وفق جميع الاحتمالات كانت ستنتهى بهزيمة كاسحة ودمار شامل لما يسمونه دولة إسرائيل .. وهى لم تكن بالهزيمة البسيطة .. فعلى قدر المفاجأة وقسوتها .. وقوتها .. كان الانتصار متجاوزاً كل الحدود المتوقعة .. والذى كان بحسب وصف "برجمان" فى كتاب تاريخ إسرائيل :

"كان انتصاراً ساحقاً فى البداية مما أغرى الرئيس المصرى أنورالسادات بتحويل هدفه الأساسى الذى خطط له سابقاً من حرب محدودة فى سيناء لا تتجاوز أهدافها العبور إلى الضفة الشرقية للقناة .. ثم التوغل داخل سيناء عدة كيلومترات

١- راجع كتاب "من يجرؤ على الكلام" للكاتب العالمى بول فندلى.. وكتاب "وتحطمت الأسطورة عند الظهيرة" للكاتب الراحل أحمد بهاء الدين..

.. ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

لإقامة تحصينات واتخاذ مواقع يستطيع الجيش المصري الدفاع عنها اعتماداً على منظومة الدفاع الجوي التي كانت قادرة على صد القوات الجوية الإسرائيلية.. وحول أهدافه إلى شن حرب شاملة على إسرائيل .. فتقدمت القوات المصرية في سيناء خارج نطاق دفاعاتها الجوية .. مما عرضها لضربات جوية مباغتة من الجانب الإسرائيلي وساهم في فتح الثغرة التي عبرت منها القوات الإسرائيلية بقيادة الجنرال أرييل شارون إلى الضفة الغربية من قناة السويس " ..

وهو ما يتفق مع وجهة نظر عبر عنها الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان الجيش المصري إبان الحرب .. في مقابلة أجريت معه عام ١٩٩٨ بمناسبة مرور ربع قرن على معارك أكتوبر .

سيناريو مختلف .. !!

احتمال مختلف وجديد تماماً نطرحه عبر هذا التساؤل .. وهو: لماذا لا تكون المخابرات الإسرائيلية هي التي سعت وراء أشرف مروان لتجنيد وإقناعه بالعمل لحسابها مستغلين في الشاب طموحه الملحوظ سياسياً ومالياً ؟!

وبناءً عليه نعيد قراءة ملف القضية من زاوية أخرى وهي:

في حياة ناصر .. فهل كان بتخطيطه ؟ !!

إذا كان أشرف مروان هو الذي سعى للعمل لصالح إسرائيل كما تقول رواياتهم التي أكدت جميعها على أن علاقة أشرف والموساد بدأت عام ١٩٦٩ ، أي كما قلنا في حياة صهره الرئيس الراحل عبد الناصر .. الذي تم إلحاق أشرف مروان للعمل بجهاز المخابرات بناء على أوامر خاصة منه لرئيس الجهاز وقتها "أمين هويدى" الذي ذكر أن أشرف كان مكلفاً بمهام سرية لا يستطيع التصريح بها .. فهل كان السيناريو

ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

منذ البداية يعلم وربما بتخطيط من الرئيس عبد الناصر نفسه الذى اختار زوج ابنته ليلعب هذا الدور الهام .. وبعد وفاة الرئيس عبد الناصر استكمل الدور بمعرفة ومتابعة الرئيس السادات نفسه.. بعد أن سعت إليه المخابرات الإسرائيلية .. فى حياة عبد الناصر أوبعد وفاته و طغت وطنية أشرف على مشاعره وأخبر الرئيس - أياً كان السادات أم ناصر - بحقيقة الأمر .. فوجدها الرئيس فرصة لا تتكرر لتضليل الجانب الإسرائيلى .. وصدرت إلى أشرف أوامر رئاسية بأن يجاريهم ويكسب ثقتهم إلى أبعد مدى وساعدته المخابرات المصرية فى ذلك بتسريب بعض المعلومات اليهم من خلاله لتبقى مصر محتفظةً بنقطة التوازن الاستراتيجية فى مرحلة ما قبل أكتوبر ٧٣، من خلال ما يسربه لهم أشرف من معلومات تمتزج فيها بعض ظلال الحقيقة بالكثير من الأهداف الأخرى الأهم، مثل قصة الطائرة الليبية السابق الإشارة إليها من قبل والتي نجحت مصر من خلالها فى تحقيق ثلاثة أهداف :

١ - تفادت إشعال حرب شاملة مبكرة لم يكن الجيش المصرى مستعداً لها آنذاك ..

٢ - حافظت على علاقاتها مع ليبيا ..

٣ - منحت رجلها فى الموساد مساحةً غير مسبوقة من الثقة فى شخصه ..

اتجاهات الصحافة الإسرائيلية !!

لكن يبدو أن الصحف الإسرائيلية التى لا تتصرف أبداً من تلقاء نفسها فى مثل هذه القضايا المتعلقة بأمنها القومى، وألتي تمس تحديداً جهاز مخابراتها، كانت قد تلقت تعليمات ما بتصعيد الحملة فى اتجاه أن أشرف كان جاسوساً لإسرائيل والتأكيد على نجاح الموساد فى تجنيده .. وبدأت تستغل كتاب برجمان وما أثاره من جدل داخلياً وخارجياً لتثير موجات متعاقبة من تأليب الرأى العام على كل مستوياته

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

.. بالرغم مما تناقلته بعض الصحف الإسرائيلية وبعض قادة الموساد من مروان كان عميلاً مزدوجاً .. وأنه قد سبب إخفاقاً تاماً وكبيراً للموساد، ومن بين هذه الصحف كانت جريدة معاريف الإسرائيلية التي أشارت إلى أن أشرف مروان هو الرجل الذى جعل من الموساد أضحوكة .. وانتقدت فى نفس الوقت بشدة قيام قادة الموساد بالكشف عن هوية واسم رجل يدعون أنه كان عميلاً لهم، بينما مازال هو على قيد الحياة .. ووصفت ذلك بأنه مخالف لكل قواعد التجسس فى العالم ..

لماذا تتركونه ؟ .. !!

وعقب تفجر القضية بهذا الشكل تمكن الصحفى الإسرائيلى الشهير "دان مرجليت" - الذى يقدم فى التلفزيون الإسرائيلى برنامجاً بعنوان "ملحق الملاحق" - أن يجمع تسيفى زامير وإيلى زعيرا بالإضافة لـ "أهارون برجمان" باعتباره الصحفى الذى فجر القضية من البداية .. وبدأ يفتح الملف الشائك على حد تعبيره ليسأل زعيرا وزامير أين الحقيقة فى قضية أشرف مروان ؟ .. وأخذ الاثنان يتبادلان الاتهامات من ناحية .. ومن ناحية أخرى أخذوا يراوغان المذيع الذى كان من الذكاء بحيث لم يتركهما يفلتان من الإجابة عن سؤاله الأساسى .. واستطاع أن ينتزع من كل منهما الإجابة ليعترفوا بأن أشرف مروان خدع الجميع، وكان أهم أوراق انتصار المصريين فى السادس من أكتوبر .. عندها صرخ "مرجليت" فى وجوههم قائلاً :

"رجل كهذا كيف يصير حياً وحرّاً طليقاً يمارس حياته بشكل طبيعى إلى اليوم .. إن بقاء أشرف مروان حياً دون عائق هو أمر يؤكد أن إسرائيل راحت ضحية رجل محترف من الطراز الأول" ..

فيما بعد؟

وأخيراً .. ومازلنا نحاول أن نصدق الرواية الإسرائيلية نتساءل : كيف تعاملت إسرائيل مع العميل بابل بعد انتهاء حرب أكتوبر ..؟ وكيف كانت صورة التعامل بفرض استمراره ؟؟ .. فالمؤكد أن عميلاً بأهمية مروان يجب استثماره لدى أى جهاز مخابرات لأقصى مدى ممكن .. خاصةً أنه استمر يشغل مناصب عديدة وحساسة فى مؤسسة الرئاسة، وبعدها فى هيئة التصنيع والإنتاج الحربى التى أقيمت أساساً لتسليح الجيوش العربية لمواجهة الدولة التى تعتبر العدو الأول للدول العربية مجتمعة .. والتى يحمى أمنها جهاز المخابرات الذى يعمل لصالحه .. وخاصةً أيضاً أن أشرف مروان كان على علاقة دائمة ومتميزة بالعديد من الرؤساء والملوك العرب الذين اختاروه شخصياً ليرأس مجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع، ووضعوا تحت تصرفه طائرة خاصة مما يوحى بثقة غير عادية فى شخصه .. وهى الثقة التى كان يستغلها السادات جيداً لإيفاده فى مهام خاصة لهؤلاء الملوك والحكام وغيرهم ..

وإن كان التعامل قد توقف فعلى أى أساس قد توقف ؟. ولماذا يضحى الموساد بعميل فى مثل قيمة وأهمية أشرف مروان ؟. وكيف تم إغلاق ملفه ؟. أم أن الرجل لم يعد له دور بالنسبة لهم بعد انتهاء الحرب ؟. فهل تأكدوا مثلاً فى وقتها من خداعه لهم وأنه كان عميلاً مضاداً ؟ إذا سلمنا بهذا الفرض يكون قد توافر لدينا دليل قوى على أن أشرف مروان ما كان خائناً على الإطلاق لوطنه .. بل كان بتجاهلهم لذكر أى علاقة له بهم بعد الحرب قد حصل على شهادة لا شك فيها بكذب ادعائهم بعمالته لهم والأهم لماذا تركوه كل هذه المدة ؟ ..

الفصل الثالث

أشرف مروان .. صراعات وعلاقات

ولأن ما حققه أشرف مروان فى سنوات وجيزة .. وسن صغيرة لم يكن بالشئ الهين.. ولأن طبيعة الأمور تقتضى دائماً أن يكون هناك أعداء للنجاح .. فقد كان على موعد دائم مع الصدام والصراع مع الآخرين عبر كل مراحل حياته .. وكان الآخرون دائماً بالنسبة له فريقين .. لا ثالث لهما : إما معه .. أو ضده .. وكثيراً ما كان ينقلب الصديق عدواً .. ونادراً ما انقلب العدو صديقاً .. وبين هذا وذاك كم تعامل معه كثيرون وهم يرتدون قناع الصداقة بينما هم أعداء لا يهمهم إلا تدمير حياته .. وتشويه صورته ..

فكم اقتضته الظروف الدخول فى صراعات لا رحمة فيها مع شخصيات ذات علاقات سياسية واقتصادية وأمنية ومصالح دولية ومحلية متشابكة .. وصمد الرجل أمام كل ذلك دون أن تهتز له شعرة .. وهويحمل على كاهله، الذى أصبح متعباً ومريضاً بمرور الوقت، العشرات والعشرات من الأسرار والملفات الغامضة التى لم يبح بها لأي شخص مهما كانت مكانته لديه ..

هجوم بلا توقف .. !!

فالمعارضون لعبد الناصر الذين لم يكن يجروء واحد منهم أن يرفع صوته فى حياة الرجل حاربوه بعد وفاته فى شخص زوج ابنته .. مشككين فى قدرات وسوء اختيارات عبد الناصر وقراراته الخاطئة حتى فى اختياره لزوج ابنته .. وكل ذلك

ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

كمدخل لتشويه الحقة الناصرية بأكملها .. والبعض منهم كان يروج لمقولة إن ارتباط أشرف مروان بكريمة عبد الناصر كان بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة .. ولم يكن ذلك الزواج سوى وسيلة ليحقق الشاب الطموح أحلامه من خلال مصاهرته لرئيس الجمهورية .. حتى أسرة أشرف لم تسلم هي الأخرى من هجوم وادعاءات الصحافة .. وكان في مقدمة من طالتهم تلك الاتهامات والد أشرف نفسه .. الذي قيل إنه كان يستغل منصبه كرئيس لمجلس إدارة شركة الأسواق الحرة، ذلك المنصب الذي تولاه بفضل نفوذ ابنه ليثري من ورائه بطرق غير مشروعة ..

والد أشرف مروان .. !!

ولعب الكاتب الصحفي جلال الدين الحمامصي دوراً كبيراً في التفتيش وراء الرجل واتهمه صراحةً في ذمته المالية .. يقول الحمامصي في كتابه "حوار وراء الأسوار" :

"إن والد أشرف مروان كان يطلق عليه (مستر ٥%) وهي قيمة العمولة التي اختص نفسه بها من العديد من العمليات التي كانت تمر من تحت يديه" .. ويؤكد الحمامصي أنه كان قد جمعه في السبعينيات لقاء مع زكريا توفيق عبد الفتاح وزير التجارة وقتها في حفل عشاء وسأله عن حكاية مستر ٥% فقال له الوزير .. نعم إنها حقيقة .. وأكد له الوزير أن رئيس الوزراء وقتها كان يلج عليه لإقالة والد أشرف من منصبه التابع إدارياً للوزير وإحالة إلى المعاش تخلصاً مما يسببه لهم من حرج .. ويذكر الحمامصي نفسه أنه قد جمعه لقاء آخر مع رئيس الوزراء ممدوح سالم، وسأله عن موضوع أبو الوفا مروان فوضع رئيس الوزراء يده على ملف ضخمة ومتخم بالأوراق كان موضوعاً أمامه على مكتبه، وقال له: هذا هو "أبو الوفا مروان" .. وكلها شبهات في استغلال الرجل لما يتمتع به ابنه من نفوذ ليتربح من خلاله .. الغريب أيضاً أن والد أشرف ثبتت براءته من تلك الاتهامات .. وبقي مقياس التاريخ لا يعترف إلا بالحقائق فقط .. وليس بالشائعات .. أو الاتهامات المرسلة ..

علاقات خاصة .. ١١

وفى حياة أشرف مروان العديد من العلاقات الخاصة جداً التى أثرت بلا شك فى مسار حياته بشكل مباشر أو غير مباشر .. لكن كان تأثيرها كبيراً وخطيراً .. وأول تلك العلاقات كانت علاقته بزوجته "منى عبد الناصر" التى كان ارتباطه بها حداً فاصلاً، ولو كان ارتبط بغيرها لكان مسار حياته بلا شك قد تغير تماماً ..

وجاءت فترة السبعينيات لتشهد توهج علاقات أشرف بالعديد من الأسماء والشخصيات اللامعة فى هذه المرحلة .. مثل الرئيس الراحل أنور السادات بحكم علاقته الوظيفية معه وقربه الشديد منه .. ووزير الخارجية الأمريكى "هنرى كيسنجر" .. وأحد رؤساء أجهزة المخابرات العربية فى السبعينات كان مليارديراً ومعروفاً عنه ضلوعه فى عالم تجارة السلاح .. وكذلك رجال النظام الليبى: عبد السلام جلود .. وقذاف الدم .. والقذافى .. ثم جاءت مرحلة لندن وعلاقته بالملياردير البريطانى الشهير "تاينى رولاند" .. وأخيراً علاقته بأهارون برجمان الرجل الذى فجر قضيته ذات يوم .. وهو يكاد يكون الوحيد الذى تحول من خانة العدو .. إلى خانة الصديق ..

جناحا الإمبراطورية .. ١٢

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن رئيس المخابرات العربى المشار إليه سابقاً .. كان هو وكيسنجر بمثابة الجناحين اللذين استخدمهما أشرف مروان ليُحلّق بهما فى سماء طموحه كيفما شاء .. الأول وفرّ له الدعم المالى المطلوب وتولى تقديمه لأساطين تجارة السلاح فى العالم، وارتبط معه هو وآخرين بعلاقات خاصة جداً كانت تدور كلها داخل دائرة تجارة السلاح دولياً .. والثانى كفل له مظلة سياسية خاصة تحرك من خلالها ليكتسب المزيد من النفوذ السياسى عالمياً ..

علاقات متداخلة .. !!

الملاحظ أننا لانستطيع أن نفصل ونُصنف زمنياً أو مكانياً علاقات وصراعات أشرف .. فهي تتداخل على المستويين : الزمنى ، والمكانى ، بشكل غريب .. فكم من علاقات أو صراعات .. بدأت معه هنا فى مصر .. فى زمن ما .. وانتقلت معه من مكان لآخر .. وبعضها مرَّ به فى حياته مرور الكرام ونبدأً بأهم وأخطر علاقات أشرف مروان ..

أشرف والسادات !!

فمن مكتبه الخاص .. وبوضعية مميزة عن الآخرين بدأت علاقة أشرف مروان بالسادات تتسع بشكل كبير .. وعندها بدأ نجمه يبرز بشدة أكثر .. وأكثر .. تحديداً منذ ليلة الخامس عشر من مايو ١٩٧١ ، حيث كان دور أشرف فى تلك الليلة هو نقطة التحول الأساسية ومحطة هامة من أهم محطات حياته ..

ففى مذكراته التى تحمل عنوان «البحث عن الذات» يحكى السادات عن هذه الليلة فيقول :

"فى الساعة الحادية عشرة إلا ثلاث دقائق من مساء ١٣ مايو ١٩٧١ جاءنى أشرف مروان وكان يعمل مديراً لمكتب سامى شرف .. يحمل استقالات رئيس مجلس الأمة .. ووزير الحرية .. ووزير الإعلام .. ووزير شؤون رئاسة الجمهورية .. وأعضاء من اللجنة المركزية .. وأعضاء من اللجنة المركزية العليا .. وكان المقصود بهذه الاستقالات أن يحدث انهيار دستورى فى البلد .. قبلتها جميعاً" ..

بوادر أزمة مايو !!

بينما تقول جيهان السادات فى مذكراتها « سيدة من مصر » عن نفس الواقعة :

كنت أشاهد أنا وأنور أخبار العاشرة وهى آخر برنامج فى ذلك اليوم حين سمعنا

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

طرقاً على الباب .. كان الطارق هو أشرف مروان زوج ابنة الرئيس عبدالناصر وكان يعمل فى مكتب سامى شرف وزير شئون رئاسة الجمهورية .. ورحبنا بأشرف إذ كان من أصدقائنا الشخصيين ، ولكن ما جاء به كان الورقة الأخيرة فى الانقلاب المبيت .. وهى استقالة رئيس مجلس الشعب وبعض الوزراء الآخرين .. وقال أشرف (بشيء من الخجل) : إن الاستقالات ستذاع فى التلفزيون بعد بضع دقائق .. ونظر أنور إلى أشرف وهز رأسه كأنه غير مصدق .. وسألت الشاب الواقف أمامنا فى حرج : أشرف .. لماذا لم تخبرنا بذلك من قبل ؟

فقال : لم يدعنى الوزير أترك مكتبى.

وقد يكون ماقاله أشرف حقيقياً .. فهو لم يكن إلا موظفاً عليه أن يطيع أوامر رؤسائه ..

سامى شرف يتحدث !!

انتهت شهادة السيدة جيهان ، ولن تكتمل الرؤية إلا بالذهاب لشهادة سامى شرف أحد أضلاع المؤامرة نفسه .. الذى يقول عنها فى حوار مع الكاتب الراحل « عبدالله إمام » مايلى :

"عندما جاء أشرف مروان - وكان يعمل معى - لتسلم الاستقالات لتسليمها لأنور السادات" .. قلت له بالنص :-

(يا أشرف خذ هذه الاستقالات لتوصيلها إلى أنور السادات بدون قيود وبدون أى شروط .. فأبلغنى أشرف أنه لن يستطيع الاستمرار فى عمله .. فطلبت منه أن يستمر .. وقلت له : أنت تقعد حتى أطمئن إلى وجود أحد أمين فى هذا المكتب .. وأنت لست طرفاً .. أنا من حقى كوزير دستورياً أن أعرب عن رفضى لما يحدث بالاستقالة) ..

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

ويكمل سامى شرف باقى ماجرى بقوله : «عندما قبل أشرف أن يستمر ولا يستقيل كلفت سكرتيرى محمد سعيد بتسليم كل ما لديه لأشرف مروان .. وقد تم هذا بعد منتصف الليلة نفسها .. وكانت هذه الأوراق عبارة عن ثلاث شنتط جلدية بها تسجيلات لجميع محاضرات الاجتماعات الرسمية لجمال عبدالناصر، سواء فى مجلس الوزراء أو فى اللجنة التنفيذية العليا أو فى منزله بمنشية البكرى ..»

أشرف وحكاية خزانة عبد الناصر

ويروى صلاح الشاهد كبير الأمناء برئاسة الجمهورية - والذى كان زميل دراسة للرئيس السادات فى مدرسة فؤاد الأول الإبتدائية^(١) أنه كان هناك خزانتان سريتان فى منزل الرئيس الراحل عبد الناصر، إحداهما كبيرة كان يوضع بها الأموال المخصصة للمصاريف السرية .. والأخرى صغيرة كان يحتفظ فيها الرئيس بالمستندات والتقارير التى تحمل قدراً كبيراً من الأهمية والسرية المطلقة القادمة فى الغالب من المخابرات والأجهزة الأمنية .. وبعد وفاة عبد الناصر أبلغت السيدة تحية زوجته المسئولين بشأن هاتين الخزانتين .. ولما كان سامى شرف يحمل مفتاحاً إضافياً للخزانة السرية فقد كلف سكرتيه الخاص محمد سعيد بالذهاب الى منزل الرئيس الراحل وإحضار تلك المستندات ، التى كان بعضها قد كتبه سامى شرف نفسه هو وأشرف مروان ضد السادات ورفعوها لعبد الناصر .. وكانت تلك المستندات - بحسب تعبير الشاهد - "تودى فى داهية" وبمجرد خروج محمد سعيد بالمستندات، وإنطلاقه بسيارته، إنطلق خلفه أشرف مروان وأطلق الرصاص من مسدسه الخاص على السيارة وتمكن من إيقافها والاستيلاء على ما حمله محمد سعيد من مستندات، استبعد منها ما يدينه وحمل الباقي إلى الرئيس السادات وكأنه يقدم له عربون إخلاص غالى الثمن يدين ويكشف له كل أعدائه ..

(١) جريدة الغد ٤ يوليو ٢٠٠٧

ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

انتهت شهادة صلاح الشاهد... ويبقى أن نقول أن هذه الواقعة تحديداً قد ذكرت بروايات مختلفة .. ما بين استيلاء أشرف على الخزينة بما تحتويه .. أو المستندات فقط .. وفى كلتا الحالتين أصبحت المستندات فى حوزة أشرف ..

واستطاع أشرف بدءاً من هذه الليلة أن يحوز على ثقة السادات بشكل كبير .. وأصبح بعدها أحد .. بل أهم المقربين منه .. حتى تم نقله للعمل كرئيس لمجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع .. ثم نقله للعمل كسفير بالخارجية المصرية ..

اتهامات باطلة .. !!

وكان لموسى صبرى الدور الأكبر فى ترويج العديد من الشائعات والهجوم المستمر على أشرف .. والغريب أنه وهو كاتب صحفي مخضرم .. - المفترض فيه أنه يعرف تماماً الفرق بين ترويج الشائعات .. وتحقيقتها صحفياً وتاريخياً .. باعتباره حاول أن يرتدى ثوب المؤرخ أوعلى الأقل الصحفى العالم ببواطن الأمور- لم يحاول أن يوثق ادعائاته التى طال بها الرجل وحتى لم يتمكن من إدانته فى أى منها وإنما تركها مرسلة بلا توثيق .. وبدأ يشن حملات متوالية وضارية ضده ويمد أعضاء مجلس الشعب - وفى مقدمتهم الدكتور حلمى مراد - بما يصلح لتقديم استجواب عن أعمال أشرف مكتفياً بأن يثير حول الرجل موجات ضبابية من الشكوك .. فمرة يتحدث عن تلقى أشرف مروان عمولات خاصة من صفقات أسلحة وطائرات .. ثم صفقة السيارات التى تم توريدها إلى رئاسة الجمهورية واتهمه صبرى فيها بتلقى عمولة ثبت براءته منها بعد التحقيق .. ثم كانت القصة الأكثر بشاعة وغرابة وهى شائعة سرقة مجوهرات من حجرة أشرف مروان بأحد فنادق لندن..

حكاية سرقة المجوهرات !!

ولهذه الواقعة تحديداً قصة غريبة ، فبعد أن بدأ إسماعيل فهمى يضجر من طغيان مروان على اختصاصاته كوزير للخارجية .. أخذ يسرب إلى الصحف أخباراً تمس سمعة أشرف مروان ...، وحدث أن اتصل به عبد الحميد عبد الغنى رئيس تحرير «أخبار اليوم» فى السبعينيات ليسأله عن خبر ما وكان الاثنان تربطهما معاً علاقة صداقة شخصية .. فأجابه إسماعيل فهمى بأن مايسأل عنه شئى غير ذى أهمية قياساً بخبر آخر سوف يؤثر به .. وعندما تحركت حواس عبد الغنى الصحفية كانت المفاجأة التى أخبره فهمى بها هى سرقة كمية من المجوهرات تقدر قيمتها بعشرات الآلاف من الجناح الذى كان يقيم به أشرف مروان فى أحد فنادق لندن!.. فى اتهام غير مباشر من وزير الخارجية لأشرف مروان .. وأكد وزير الخارجية لرئيس تحرير الأخبار سرية الخبر الذى لم تكن وكالات الأنباء قد نقلته وأنه تلقاه بصفة رسمية وسرية .. وكتب رئيس التحرير قصة السرقة بدون أسماء .. لكن بشكل يوحي بأن المقصود بالخبر هو أشرف مروان.. ونشر الخبر فى كل من "أخبار اليوم" ومجلة "آخر ساعة" فى شكل تحقيقات مطولة وصفته بـ "الفضيحة" .. وبعد النشر اتصل السادات بموسى صبرى يستوضح مَن المقصود بالخبر، فأجابه بأنه أشرف مروان.. وكان النشر بهذا الشكل المبهم قد أثار غضب أسرة عبد الناصر بالكامل، بعدما ترددت شائعات تؤكد أن المقصود بالخبر هو خالد ابن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر الذى كان يدرس وقتها فى لندن .. واتصلوا بالسادات معترضين على هذا النشر المبهم وضرورة تحديد الشخص المقصود حتى لا تزيد الشائعات .. وقال السادات لموسى صبرى بحسب ما جاء فى كتابه "الحقيقة والأسطورة" :

"إننى لا أجور على حرية الصحافة .. ولا أحمى أحداً.. ولكننى ضد نشر الأخبار المعماة التى يمكن أن تسيء إلى أكثر من شخص .. إذا كان لديكم خبر عن شخص .. أى شخص .. وأنتم متأكدون من وقائعه .. انشروا الخبر بالأسماء .. حتى لا يُظلم برىء .."

أشرف يتحدى الجميع !!

وأمام السادات تحدي "أشرف مروان" الجميع وطلابهم بالبيئة .. فكلفت أخبار اليوم "زغلول السيد" مدير مكتبها في لندن بتحري الحقيقة بتكليف من السادات .. وكان رد "زغلول" بعد فترة أنه سعي لدي كل الجهات بما فيها الشرطة البريطانية "اسكوتلاند يارد" وبعض الجهات الأمنية السرية لمعرفة الحقيقة .. ونفي الجميع صحة هذه المزاعم .. وهنا طالب السادات "مروان" بمقاضاة أخبار اليوم .. إلا أنه اكتفى بما حدث وتيقن السادات شخصياً من برائته ورفض مقاضاتهم .. وهذه القصة تنطوي على قدر غير عادي من السذاجة؛ فأين صاحب هذه المجوهرات ولماذا تواجدت تلك المجوهرات أصلاً في حجرة أشرف مروان بالفندق ؟؟ هل نسيها نزيل سابق مثلاً ؟. إن المجوهرات التي وصفها وزير الخارجية وقتها بأنها تساوي عشرات الآلاف من الجنيهات ثمناً يقطع بأن حجمها لم يكن صغيراً حتى ينساها صاحبها هكذا وكأنه ينسى علبة سجائره .. عموماً القصة من بدايتها واضح أنها مجرد اختلاق وأكاذيب والمقصود منها فقط إثارة نوع من هز ثقة السادات في أشرف مروان.

السادات يقول: أشرف الشخص المناسب .. !!

ولم ييأس موسي صبري وجماعته، وذات يوم فاتح صبري الرئيس مباشرة دون مواربة في موضوع أشرف مروان وسأله بتعجب واندعاش: إن الشعب يرفض أشرف مروان .. فلماذا تتمسك به ؟ فرد عليه الرئيس قائلاً: أنا لا أقبل أن أمد يدي إلى أي حاكم عربي ولكننا نتعرض لمآزق مالية خطيرة .. وأشرف يقوم بهذه المهمة .. ويستطرد موسي قائلاً: أن دبلوماسية السادات التي تعتمد على الاتصال المباشر مع الرؤساء كانت تجد في شخص أشرف مروان من يستطيع تنفيذها بدون بروتوكول وإجراءات رسمية .. فهو عندما يذهب إلى السعودية مثلاً لا يعامل وفقاً لقواعد

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

البروتوكول .. كما أنه من الممكن أن يتحدث إلى الأمراء العرب وغيرهم بغير كلفة أو رسميات .. ويعبر لهم بكلام صريح عن التصرفات التي تغضب السادات .. أو المطالب التي يريد السادات تحقيقها .. وفي هذا يختلف تماماً عن وزير الخارجية .. وكان السادات يجاهر بالثناء على أشرف مروان وعلى أمانته وكفاءته في توصيل الرسائل المطلوبة، وقدرته الخاصة في التعامل مع الأمراء العرب وإقناعهم بمطالب القاهرة ووجهة نظرها .. وأنه قدم لمصر خدمات جليلة قبل حرب أكتوبر ونجح في إقناع كثير من الدول العربية بتقديم السلاح والمساعدات المختلفة ..

وموسى يصعد الحملة ضده .. !!

لكن موسى، الذي كان فيما يبدو يأخذ موضوع وقضية أشرف مروان بمنظور شخصي غريب، وغير مفهوم لم يتوقف أمام ثقة السادات الشديدة في الرجل .. ولا أمام تعمده تجاهل كل ما يسربونه له من شائعات عديدة وأقاويل تراكت أمامه - يوماً بعد يوم، مثل اعتياد أشرف مروان لعب القمار على موائد نادى «البلاى بوى» بلندن وخسارته مبالغ مالية باهظة هناك .. وحياة البذخ التي كان يعيشها في شقته الخاصة التي يملكها في لندن .. وجعل موسى من أشرف مروان قضية الخاصة التي لا يمل من الضغط بكافة الوسائل على الرئيس ليأخذ موقفاً منها بالشكل الذي يتمناه ولا يحتمل إلا الإقالة لـ "الطفل المعجزة"، كما سماه على أمين وكما كان يحلو لهم تسميته .. وزاد السادات في تجاهله لكل تلك المحاولات المكشوفة من صبرى وحزبه ..

يوم بكث منى عبد الناصر !!

وعندما تم إنهاء إعاره أشرف مروان للهيئة العربية للتصنيع .. ونقله إلى وزارة الخارجية .. يومها نشر موسى صبرى الخبر في جريدة "الأخبار" - الصحيفة التي

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

كان يرأس تحريرها آنذاك- بشكل فيه تشف وتعمد الإساءة لأشرف تحت عنوان "إنهاء أسطورة أشرف مروان" ..

فذهبت منى عبد الناصر باكيةً لمنزل الرئيس السادات وفى يدها نسخة من الجريدة .. انفعل السادات للغاية وغضب غضباً شديداً .. وبدأ وكأنه فوجئ بالأمر .. وانتقد النشر بهذا الشكل واعتبره تشهيراً متعمداً .. وأخذ هو وزوجته السيدة جيهان فى تهدئتها .. وطمأنها بأنه يعتبرها بمثابة ابنته .. وما لا يرضاه ابنته .. لا يرضاه لها .. وأنه لا يرضي أبداً بتشويه سمعة أشرف .. وسوف يرد لأشرف اعتباره بطريقته الخاصة .. والتي سوف يقطع بها السنة كل هؤلاء .. فلا يرضيه أبداً بأن يكون إبعاد أشرف مروان فى شكل طرد له ..

السادات يعنف موسى صبرى

وفى نفس اليوم تمكن أشرف من لقاء السادات فى استراحة الهرم .. وأخبره بما يردده موسى صبرى من أن الرئيس السادات هو الذى طلب منه النشر بهذا الأسلوب .. وأن الأمر برمته ما هو إلا مؤامرة مقصودة للتشهير به لصالح آخرين .. وطلب السادات موسى صبرى تليفونياً وعنفه وأمره برفع الخبر من الطبقات التالية ووضع مكانه بياناً صادراً عن رئاسة الجمهورية، جاء فيه أن الرئيس السادات قرر تعيين أشرف مروان سفيراً من الدرجة الممتازة بوزارة الخارجية، كما كلفه بحمل رسائل خاصة إلى ثلاثة من الرؤساء العرب .. ونشر فى البيان أيضاً أن أشرف مروان هو الذى قدم استقالته من الهيئة العربية للتصنيع التى ساهم فى أن يقدم لها خدمات جليلة وصدرت الطبعة الثانية من الأخبار فى نفس اليوم وقد رفع الخبر الأول وتم استبداله حسب أوامر الرئيس السادات ..

السبب الحقيقي لإقالة :

وبهنا هنا أن نتوقف قليلاً عند قرار إقالة أشرف مروان من الهيئة العربية للتصنيع.. لأن هذا القرار له توابع وأصداء كثيرة.. فقد اتخذ السادات قراره بإقالة أشرف في فترة زيارة وزير الدفاع البريطاني "فريد هولك" لمصر التي كان يزورها لغرض التوقيع على مذكرة تفاهم بين الهيئة العربية للتصنيع الحربى.. ووزارة الدفاع البريطانية على أساسها أجازت بريطانيا سياسة بيع السلاح للعرب ومشاركتهم صناعاتهم الحربية.. وكانت هذه المذكرة النهائية هى عبارة عن تجسيد حى لفكر.. وسعى قاده عبر شهور طويلة أشرف مروان نفسه وتولى بشخصه إعداد كل الأوراق.. والمستندات.. والإجراءات اللازمة لذلك.. لذلك أثر السادات تأجيل إعلانه قرار إقالة أشرف لما بعد زيارة وزير الدفاع البريطانى.. لكن الصدى الأهم هو ما كشفتته مؤخراً بعض المصادر الفرنسية ومن بينها صحيفة (اللوموند) عن أن أمريكا كانت وراء الضغط على الرئيس السادات الذى كان يهمل للغاية فى هذا التوقيت إرضاءها بكافة السبل - لإقالة أشرف من منصبه بالهيئة.. لماذا؟

أكدت الصحيفة الفرنسية أن سبب ذلك يرجع إلى قوة علاقات أشرف مروان مع شركات فرنسية كبرى عاملة فى مجال تصنيع وتطوير السلاح مثل شركات (طومسون- داسو- سنيكما- ماترا) .. ونجاحه بالفعل فى هذا التوقيت من توقيع عقود مشروعات ضخمة معهم فى مصر وبعض الدول العربية قيمتها خمسة مليارات دولار.. مما كان سيؤثر بالطبع فى حالة استمرار أشرف فى منصبه.. وتوقيعه المزيد من العقود والمشاريع المماثلة فى طرد.. أو على الأقل تحجيم دور الولايات المتحدة فى احتكار سوق السلاح والمشروعات الكبرى فى منطقة الخليج والشرق الأوسط والذى كانت من خلاله تستطيع دائماً الإبقاء على نقطة التوازن فيه لصالحها حرصاً على السيطرة على سوق النفط عالمياً.. وحيث تمثل تلك المنطقة بالنسبة لأمريكا والعالم أجمع المصدر الأول له.. وكان ذلك بحسب تحليل الأحداث هو الدافع الرئيسى وراء إصرار السادات على إقالة أشرف من الهيئة بالرغم من خدماته الجليلة التى قدمها لوطنه. والتى أشار إليها السادات باعترافه شخصياً فى حيثيات منحه أشرف وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.. كما سيلي ذكره.

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

ويرد له إعتباره !!

بعدها فاجأ السادات الجميع بتكريم أشرف رسمياً .. ومنحه وسام الجمهورية من الطبقة الأولى .. تقديرًا للخدمات التي أداها للدولة في حرب أكتوبر .. بحسب حيثيات قرار التكريم ومنح الوسام .. وخصَّ من تلك الخدمات نجاح أشرف في الحصول على قطع غيار حربية من فرنسا في وقت كانت فيه المصانع مغلقة بسبب عطلة رسمية .. وقال السادات بالنص في كلمته بمناسبة منح أشرف الوسام :

"إنى أمنحك هذا الوسام من الطبقة الأولى تقديرًا لما قمت به نحو بلدك خاصة في أهلك الأوقات وأثناء معارك أكتوبر المجيدة .. ويجب أن يعلم الجميع أنه في الوقت الذي كانت فيه القوات الجوية في أمس الحاجة إلى قطع الغيار لتقوم بمهامها القتالية وكانت جميع المصانع في أوروبا مغلقة، قمت أنت بمجهودك الشخصي بتوفير قطع الغيار اللازمة لها .. مما مكن القوات الجوية من تحقيق مهامها القتالية بالكفاءة المطلوبة" .. ومن هنا انتهت علاقة أشرف مروان الرسمية بالرئيس السادات، ولكن بقيت علاقتهما تدور في إطار العلاقة الشخصية .. وكان كثيراً ما يصطحبه أشرف زوجته لزيارة الرئيس وأسرته في بعض المناسبات الاجتماعية..

"مبارك" يستقيل .. والسبب أشرف !!

ويبدو بالفعل أن أشرف كان له نفوذ غير عادي، حيث ثبت أن المرة الوحيدة التي تقدم فيها النائب حسنى مبارك باستقالته من منصبه، قيل أنه كان بتخطيط خاص من أشرف شاركته فيه السيدة جيهان السادات وفوزى عبد الرحمن سكرتير السادات الشخصى، حيث خططوا جميعاً للإطاحة بمبارك وتصعيد منصور حسن الذى كان وقتها يشغل منصب وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية بديلاً عنه.. وتم تقليص مهام مبارك لصالح حسن .. وهو ما رفضه النائب حسنى مبارك وقتها

ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

وقام بتقديم استقالته للرئيس، وذهب خارج القاهرة معترماً اعتزال العمل العام ومصرأً على موقفه .. فى نفس التوقيت صدرت مجلة الحوادث اللبنانية وعلى غلافها صورة لمنصور حسن وتحتها كتبت المجلة "الرجل القادم فى مصر"، وذلك بإيعاز من محمد حسنين هيكل الذى كان قد بدأ وقتها مرحلة الصدام مع السادات.. ورأى السادات المجلة فغضب غضباً شديداً وأرسل يستدعى نائبه السابق .. وطالبه بالعودة لممارسة مهام منصبه مرة ثانية .. ووافق مبارك بشرط عودة اختصاصاته المسحوبة منه لصالح منصور حسن من قبل بنص القرار الجمهورى ١١٩، فرد عليه السادات بالموافقة وأخبره أنه سوف يلغى تماماً منصب وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية، فيما يعنى أنه يقلل منصور حسن ليرضى نائبه..

أشرف يحتجز رجال الأمن فى مكتبه .. ١١

وفى الفترة الأخيرة من حكم السادات وبعد أن انتهت تماماً العلاقة الرسمية بين أشرف والسادات .. وأثناء زيارة السادات الشهيرة لإسرائيل .. دبرت إحدى الجهات الأمنية وسيلة للإيقاع بأشرف مروان ومداهمة مكتبه والإستيلاء على كل ما به من أوراق .. وبعد استئذان النيابة أعدت العدة لوضع أجهزة تنصت فى مكتب مروان الضخم الذى كان يملكه بمصر الجديدة .. ولكن أحد المنوط بهم تنفيذ العملية أبلغ أشرف مروان الذى استطاع أن يضبط الكمين المعد له، وأن يصورهم أثناء تفتيشهم مكتبه .. واحتجز المكلفين بالعملية فى المكتب .. ورفض إطلاق سراحهم .. وهدد بأنه سوف يطلق عليهم جميعاً النار فى حالة محاولة اقتحام مكتبه بالقوة .. واتصلت الجهات المختصة بالرئيس السادات الذى طلبه تليفونيا على الفور وأمره بإطلاق سراحهم .. وامتلأ مروان لأوامر السادات .. واستغل مروان فيما بعد هذه الواقعة للتدليل على ما يحاك ضده من مؤامرات لإفساد العلاقة بينه وبين الرئيس..

علاقته برجل المخابرات العربى

بدأت أنباء علاقة غامضة بين أشرف مروان .. ورجل مخابرات عربى شهير كان معروفاً عنه صداقته الشخصية للرئيس السادات منذ بدايات ثورة يوليو حتى مصرعه .. لكن عندما ارتبط اسم أشرف مروان به بدا الأمر وكأن الرجل ارتكب جريمة ما بصداقته معه .. وبدأت أنباء تلك العلاقة - التى تطورت فيما بعد إلى الشراكة فى أمور تجارية استمرت طويلاً - تعرف طريقها للصحف مبكراً .. فى الوقت الذى كان فيه أشرف فى بداية رحلة صعوده .. فى أوائل السبعينيات.. وكان أول ذكر لتلك العلاقة عندما تسربت مستندات خاصة إلى الكاتب الصحفى «جلال الدين الحمامصى» الذى كان أحد أعضاء تحالف "العائدون من الكهف"^(١).. وكانت تلك المستندات متعلقة بقطعة أرض بالجيزة اشتراها أشرف باسم زوجته.. ثم باعها لرجل المخابرات العربى وكسب فيها مبلغاً كبيراً .. إلى هنا والأمر يبدو عادياً.. لكن الحمامصى وفرقته تلقفت الخبر .. واستعانتما بما وصلها من مستندات.. وشنت حملة صحفية كبيرة ضد أشرف .. تركزت الحملة على محورين أساسيين :

أولاً: من أين حصل أشرف على ثمن قطعة الأرض التى تجاوز سعرها آنذاك عشرات الألوف وهو مجرد موظف صغير راتبه لا يتجاوز جنيهاً محدودة .. ولم يرث عن أسرته البسيطة أية أموال ..

ثانياً: علاقته بالمشتري ذى الصلة الوثيقة آنذاك بالمخابرات الأمريكية ودوره الغامض فى صفقة البوينج التى قدم بسببها إلى المحاكمة ووزيران من الحكومة المصرية التى كان يرأسه وقتها رئيس الوزراء عزيز صدقى، وهما أحمد نوح «وزير الطيران» ومرزبان "وزير الاقتصاد" .. ولمحت الحملة لصدور تعليمات من أشرف للوزيرين

(١) ضم هذا التحالف كلاً من الكتاب الصحفيين... على أمين .. وجلال الدين الحمامصى .. وتزعمه موسى صبرى... وجميعهم كان من المغضوب عليهم أثناء حكم عبد الناصر... فكانوا وكأنهم عائدون من كهف الستينيات للإقتصاص من عبد الناصر وكل ما يمت إليه بصله- ولم يجدوا أمامهم سوى أشرف مروان.

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

بضرورة التعاقد مع رجل المخابرات العربى الذى كان هو نفسه مشتري الأرض فى هذه الصفقة بصفته وكيلًا لشركة «البوينج» فى الشرق الأوسط، وكان يتقاضى عمولة عن كل طائفة تباع فى هذه المنطقة .. وفيما بعد حكم القضاء ببراءة الوزيرين ..

أشرف يدافع عن نفسه ..

وكان لابد أن يرد أشرف على الاتهامات التى طالت ذمته المالية والتى كانت تقفز من بين سطور الحملة .. وأمام السادات لم ينف مروان صحة الواقعة .. بل أكدها .. مشيراً إلى أن مصدر الثمن الذى اشترى به قطعة الأرض جاء من حصيلة بيع زوجته لعدة سيارات تلقتها كهدايا من بعض الملوك والرؤساء العرب إكراماً لذكرى والدها .. وأحضر معه من الأوراق الرسمية ما يثبت ذلك .. ومن هنا بدأت أنباء العلاقة الغامضة بين أشرف مروان والرجل العربى تخرج للنور وخرج أشرف من تلك العلاقة بكثير من المكاسب ..

عدنان خاشقجى .. !!

ومن داخل تلك العلاقة تولدت علاقات أخرى .. لا يعرف أحد عنها الكثير، أهمها هى علاقته بالملياردير العربى وتاجر السلاح المعروف "عدنان خاشقجى"، والذى وصف فى وقت من الأوقات بأنه أغنى أغنياء العالم وأشهر تاجر سلاح عربى .. وخصصت له مجلة "تايم" الأمريكية غلاف عددها الصادر فى ١٩ يناير ١٩٧٩ بالكامل ..

وكان أدهم ومن وراءه يمثلون بالنسبة لأشرف جناح الدعم المالى الذى يستمد منه قوة الدفع المالية المطلوبة لتوسيع إمبراطوريته المالية .. وكان أشرف بالنسبة لهم هو العقل المدبر والمخطط للصفقات بما يتمتع به من نفوذ وحظوة لدى العديد من ملوك ورؤساء الدول العربية وبعض الدول الأوربية ..

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

علاقته بهنرى كيسنجر!!

وُصِفَت العلاقة بينه وبين وزير الخارجية الأمريكي "هنرى كيسنجر" بأنها كانت وثيقة للغاية، واستطاع من خلالها أشرف أن يكون ضلعاً هاماً ومؤثراً وعلى دراية بكل أسرار المباحثات المصرية- الأمريكية .. وأكبر دليل على ذلك اختيار كيسنجر لمروان ليجلس إلى جواره على مائدة واحدة، عندما كان ضمن الوفد المصرى الذى دعاه الرئيس الأمريكى وقتها "فورد" للعشاء بالبيت الأبيض فى أول زيارة للسادات لأمريكا عام ١٩٧٥ .. إلا أن تلك العلاقة كانت مرهونة ببقاء كيسنجر فى بؤرة الأحداث السياسية وهو ما لم يستمر طويلاً .. وتلاشت العلاقة بينهما فيما بعد بالتدريج .. لكن كان لوزير الخارجية الأمريكى دوره الهام والمؤثر فى حياة أشرف مروان .. فى مرحلة كانت تتشكل فيها ملامح إمبراطوريته الخاصة .. وكان بالإضافة إلى رجل المخابرات العربى و خاشقجى الجناح الآخر الذى يعطى أشرف ثقلاً سياسياً على مستوى العالم لحساسية موقعه وقوته الشديدة فى بلاده ومؤسساتها المختلفة.

أين الإدارة الأمريكية ؟ .. !!

وتقودنا تلك العلاقة تحديداً إلى نقطة غاية فى الأهمية فى ملف عمالة أوعدم عمالة أشرف مروان للموساد، وهى أن الإدارة الأمريكية على أعلى مستوياتها لم تكن غائبة عن متابعة أشرف ولم يكن بالنسبة لها شخصاً مجهولاً .. وعلى ما بين الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية من تعاون وتكامل على أعلى المستويات .. فهل كانت المخابرات المركزية الأمريكية هى الأخرى تجهل وقتها دور الرجل الذى كان يجلس على مائدة واحدة مع وزير خارجيتها وتجمعه به صداقة من نوع خاص جداً .. ؟

أشرف فى لندن !!

منذ بداية الثمانينيات وبعد أن ترك أشرف عمله فى السلك الدبلوماسى، سافر الى لندن متخذاً منها مركزاً خاصاً لأعماله التجارية التى أخذت تتسع بشكل كبير للغاية فى مجالات مختلفة .. وتحولت حياته بعدها إلى دوامة من العمل المستمر والتنقل الدائم بين مختلف بلدان العالم، لهثاً وراء صفقاته التجارية التى لم يكن ينتهى من واحدة إلا ليبدأ فى أخرى ..

الرجل المجهول .. !!

فى كتابه "من قتل ديانا ؟" يؤكد "سيمون ريجان" الصحفى البريطانى الشهير.. والقريب جداً من المخابرات الإنجليزية والأسرة المالكة فى بريطانيا.. أن أشرف مروان عندما هبطت قدماه أرض لندن للمرة الأولى لم تكن ثروته تتجاوز الـ ٣٤٠ ألف جنيه إسترليني فقط^(١) .. لكنه استطاع أن يفرض نفسه بقوة على هذا العالم بكل سطوته..

فى السنوات الأولى من إقامة مروان بلندن .. فوجئ مجتمع المال فى العاصمة البريطانية .. برجل كان وقتها بالنسبة لهم مجهولاً .. يقتحم عالمهم الخاص .. ويفرض نفسه عليهم بقوة شديدة .. وتمكن هذا الرجل بطريقة ما أن يستغل تحول منطقة تسمى "سكيلي واج" - وهى منطقة تاريخية تقع شمال لندن - من مجرد

(١) تضاربت الأقوال بشدة حول حجم ثروة أشرف مروان فى بداية استقراره بلندن.. لكن المؤكد أنها كانت أكبر من ذلك الرقم الذى ذكره ريجان.. وأقل من ٤٠٠ مليون جنيه وهو الرقم الذى أشار إليه عثمان أحمد عثمان فى مذكراته.

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

منطقة كانت تستخدم قديماً كتجمع لإسطبلات الخيل التى تقود عربات نقل البضائع بطول قناة ريجنت .. إلى معرض مفتوح لأعمال الفنانين والنحاتين .. بقرار من بلدية المدينة .. وحولها الى منطقة سياحية متميزة بالشكل الذى ساهم في جذب عدد كبير من السياح إليها .. واشترى أراضى ومبانى ومخازن قديمة للسكك الحديدية بالمنطقة وأزالها .. وشيد مكانها أبراجاً وعمارات حديثة وحقق الرجل المجهول من وراء ذلك أرباحاً خيالية .. أثارت حفيظة وغيره رجال المال والأعمال هناك بعد أن استأثر بالكعكة بمفرده .. ولم يكن ذلك الرجل سوى أشرف مروان ..

ووقتها لم يكن أحد فى لندن يعرف الكثير عن أشرف مروان .. وعندما بدأ رجال الأعمال يتساءلون: من يكون هذا الشخص المجهول .. ويفتشون وراءه .. اكتشفوا أن المشروع تم تنفيذه من خلال شركة تسمى "كوبرا" .. وتأكدوا أن هذا الرجل قام بالمشروع لحسابه وحساب آخرين دعموه بالمال اللازم .. فبدأوا يبحثون: لصالح من يعمل؟ .. وجندوا لذلك شخصاً مصرياً يسمى "علي أمين" - غير على أمين الكاتب الصحفى بالطبع - يملك مقهى صغيراً اسمه « تشيكورسي »^(١) يقع فى تلك المنطقة وتحديداً أمام إسطبلات الخيل القديمة .. الرجل كان بطلاً سابقاً للشطرنج فى مصر واشتهر بالمقهي برواده الذين كانوا جميعهم من هواة لعبة الشطرنج .. كما كان يعمل من قبل فى قسم الشؤون المصرية بهيئة الإذاعة البريطانية .. وهو ما ساعده فى تكوين شبكة اتصالات قوية بجهاز مختلف فى لندن، مكنته من مطالعة ملف أشرف مروان المحفوظ فى السفارة المصرية هناك .. فاستطاعوا بذلك رسم صورة واضحة عن غريمهم المجهول والذى هبط فجأة على عالمهم الخاص .. وبدأوا يتعاملون معه من هذا المنطلق مما أورث الرجل الذى يبدو أن قدره كان الصدام الدائم مع الآخرين عداوات جديدة ..

١- تعنى بالعربية : كش ملك ..

■ ملف العميل بابل ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

علاقته بتاينى رولاند ١١

وكانت أهم الصداقات التى مكنت أشرف من اقتحام عالم المال والأعمال فى عاصمة الضباب بقوة .. هى علاقته مع "تاينى رولاند" الملياردير البريطانى المشهور، الذى كان يمتلك صحيفة "الأوبزرفر" قبل أن يبيعها الى "الجارديان" .. وينتمى "رولاند" إلى عائلة بريطانية عريقة تمتلك إمبراطورية مالية ضخمة عاملة فى بريطانيا والعديد من دول العالم .. وتسيطر على قطاع كبير من الإقتصاد البريطانى..

وكانت العلاقة بين أشرف مروان ورولاند قد بدأت عام ١٩٧٩ عندما اشترى أشرف مروان ٤٠ فى المائة من أسهم شركة "تريدز ويند" التى ينصب عملها الأساسى على تجارة السلاح، كان "رولاند" يملك باقى أسهمها باسم شركة عائلته وكان مروان مديراً لها فى ذلك الوقت .. وكان هذا هو أول بيزنس رسمى بينهما.. وقد استطاع مروان هو وأحد مدراء الشركة الآخرين عرف باسم "دام" فى الصحافة العالمية والمرجح أن المقصود به هو أحمد قذاف (الدم) ابن عم الرئيس الليبى، والذى كان يرتبط بعلاقة خاصة جداً مع أشرف مروان وتشاركاً معاً بحسب بعض المصادر فى تجارة السلاح على المستوى الدولى - تحقيق أرباحاً خيالية وسريعة من وراء ذلك.. لكنهما دخلا فى صدام مع الحكومة الأمريكية بعد اتهامهما برشوة اثنين من عملاء المخابرات المركزية، وهما "أدى ويلسون" .. و"فرانك تربل" .. وبسبب تلك القضية تم وضع اسم كل من مروان ودام على قوائم المطلوبين فى الولايات المتحدة .. لكن على ما يبدو نجح أشرف مروان فى إنهاء تلك المشكلة فيما بعد حيث ثبت ترده وسفره لأكثر من مرة بعدها إلى الولايات المتحدة .. وكشفت اعترافات عميلى المخابرات المركزية المتورطين فى القضية أن شركة "تريدز وند" التى كانت تبدو فى الظاهر كشركة طيران تجارية ما هى إلا ستار فقط .. بينما كان نشاطها الرئيسى هو تمويل منظمات معينة وتردد ذكر مجموعة أبو نضال الفلسطينية من ضمن تلك المنظمات.. واستغل دام ما تحت يده من أموال الشركة فى تحريك الشبكات السرية المؤمنة بالعنف، بما فى ذلك تسهيل وصول أسلحة ومتفجرات مختلفة لمجموعة أبو نضال..

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

مروان والحكومة الليبية .. ١١

واستغل مروان صداقته بالحكومة الليبية وأقنعها باستثمار (١٢) مليون دولار من أموالها فى شركة عائلة رولاند .. تحديداً فى مجال الاستثمار الفندقى .. كما استغل علاقته بها من قبل فى عرض حق استغلال النفط الليبى لصالح شركة أوروبية مقرها لوكسمبورج مقابل مليارى دولار .. وفى الوقت نفسه استغل الليبيون شركة تسمى "لافيكو أويل" فى استثمار بعض عوائدها المالية فى مجموعة "رولاند" فى لندن، التى كانت من جانبها تستثمر أموالها فى بيع وشراء العقارات داخل ليبيا، التى كانت تعاني وقتها من الحصار الاقتصادى بسبب قضية لوكربي الشهيرة .. وكانت هذه إحدى وسائلها لتبادل واستغلال الأموال والتحايل على كسر طوق الحصار الاقتصادى حولها ..

ووجد المحققون أن نصيب شركة "لونرهو" الداخلة فى الحسابات السرية لشركة "تريدز وند" كان مختفياً فى شركة ثالثة اسمها "إيمري" والتى كانت بدورها جزءاً من شركة مروان القابضة .. ويشير هذا الكشف لأهمية الدور الذى لعبه مروان ضد حكومة موزمبيق التى كانت تدعمها إسرائيل، وذلك بمساعدة جماعة "فريمبو" المسلحة للعمل على إسقاط الحكومة هناك .. بتحريض من الرئيس الليبى معمر القذافى الذى كان يرى أن إسرائيل تدعم حكومة موزمبيق للقيام بأعمال إرهابية ضده .. أى أن أشرف مروان باعتراف المخابرات الأمريكية نفسها كان يعمل ضد إسرائيل وليس لصالحها .. وهو ما يتنافى مع ادعاءات الموساد ..

وجرت تلك العلاقة أشرف مروان لواحد من أخطر منحنيات حياته .. وهى تلك العلاقة المرتبطة بعوده اللدود "محمد الفايد" .

أشرف والفايد !!

فعندما نزع مروان الى لندن كانت المعارك بين محمد الفايد والملياردير الإنجليزي "تاينى رولاند" على أشدها من أجل الفوز بصفقة محلات هاروودز الشهيرة وغيرها من صفقات .. وبحكم علاقات قديمة بين مروان والملياردير البريطاني وجد مروان نفسه داخل حلبة الصراع بين الاثنين، فاختار أن يقف بجانب صديقه البريطاني خاصة أن مواطنه المصرى لم يكن يحمل أية مشاعر ودية تجاهه لعلاقة النسب بينه وبين عبد الناصر.. ولتشابك مصالح أشرف مع "رولاند" .. وشيئاً .. فشيئاً .. زادت حدة تلك الصراعات .. ودخل الصراع بين أشرف والفايد منعطفات كثيرة ومختلفة.. كانت جميعها تتبع دائماً من تعارض مصالحهما المالية بطريق مباشر أو غير مباشر.. ولصراعهما معاً قصة نبدأها من آخر محطاتها .. بعد وفاة مروان..

الفايد يتهم أشرف بالعمالة للموساد !!

أرسلت "كاثرين ويتى" مديرة شئون الصحافة والعلاقات العامة فى مكتب محمد الفايد خطاباً للرد على تقرير تم نشره فى صحيفة التايمز البريطانية حول موت أشرف مروان .. قالت ويتى فى الخطاب الذى خاطبت فيه السيد روبرت تومسون محرر الصحيفة :-

«فى مقالكم المنشور يوم (٢٨) يونيو حول الموت غير واضح الأسباب لأشرف مروان المليونير المصرى الذى تجسس لصالح الموساد والذى عثر عليه ميتاً .. وصفتموه بأنه كان (رفيقاً مقرباً) من محمد الفايد .. وهذا ليس حقيقةً، فالسيد محمد الفايد لم يكن له على الإطلاق أى علاقة بيزنس أو تعامل شخصي من أى نوع مع السيد مروان، لاسيما فى ضوء علاقة أشرف مروان الوثيقة مع الرئيس جمال عبد الناصر .. إن الربط بين أشرف مروان بسماعته المشبوهة هو أمر مؤذٍ للسيد الفايد وغير مقبول، ونكون شاكرين إذا ما نشرتم تصحيحاً لذلك» ..

ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

العدو اللدود ..

والأكيد أن هذه اللغة العنيفة التي استخدمتها مديرة شؤون الصحافة والعلاقات العامة، إنما تعبر عن موقف محمد الفايد نفسه من أشرف مروان الذي كان يعتبره بالنسبة له غريماً وعدواً لدوداً .. فالمعروف أن الفايد الذي غادر مصر بعد تأميم ثروته في عهد الرئيس عبدالناصر، كان ينظر إلى مروان من علياء باعتباره ينتمي كما قلنا عائلياً إلى عبدالناصر غريمه الشخصي والرجل الذي كان يرى فيه عدوه الأول، والذي قضى بجرة قلم على ما حققه طوال سنوات شبابه الأولى في مصر من ثروة، وكاد يتسبب في تشريده هو وعائلته بالكامل .. وجاء زوج ابنته وراءه الى منفاه الاختياري في لندن ليواصل مسيرة صهره الراحل ويخوض ضده حرباً أخرى .. فحرص تماماً على أن ينفي كل علاقة له من قريب أو بعيد بأشرف مروان .. كما صرح الفايد بكل وضوح من خلال صيغة الخطاب الذي أملاه على مديرة مكتبه، والتي أرسلته بدورها لمحرر صحيفة التايمز بعلاقة أشرف مروان بالموساد .. وهو تصريح غير مبرر اللهم إذا كان الفايد يملك من المعلومات في هذا الاتجاه ما لا يملكه غيره .. أو أنه من فرط كراهيته لمروان يردد بجهل شديد ما يقوله الآخرون ..

السبب رولاند ..

أما السبب الأساسي لكل هذا الكم من العداء فهو بحسب ما أكدته تحقيقات بريطانية رسمية، هو صراع "الفايد" مع "رولاند" لشراء شركة "هاوس أوف فريزر" المالكة لمحلات "هاروودز" التي تحتل أهمية خاصة في السوق المالية في بريطانيا تحديداً وأوروبا عامة .. وتعتبر أحد أهم معالم العاصمة البريطانية .. والمعروف أن الملكة إليزابيث وباقي أفراد العائلة المالكة يشترون لوازمهم وملابسهم من هناك .. وذلك في صفقة بلغت قيمتها مئات الملايين من الدولارات .. وثبت أن رولاند كان يتحرك في هذه الصفقة من خلال مروان الذي كان واجهته له لأسباب

■ ■ ملف العميل بايل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

مجهولة .. وساهم أشرف مروان بدور كبير ومؤثر فى الحرب الدائرة بين "الفايد" و"رولاند" علي تلك الصفقة .. وتسببت تلك الحرب فى خسائر كبيرة للطرفين .. حتى أصبح كل من الفايد ورولاند لاهم لأحدهما سوي تدير المصائب للآخر.. وتدخل مروان لصالح صديقه البريطانى .. وسانده وخاض معه حرباً شرسة ضد الفايد بكل قوته لإفساد الصفقة على الفايد .. وأيد رولاند فى تصريحاته التى كان يدعى فيها أن الفايد لا يعمل بماله ولا يشتري هاروودز بفلوسه .. وإنما بالنيابة عن سلطان بروناى وعدد من تجار السلاح .. فى موقف يقال إن مروان كانت له حساباته الخاصة فيه مع بريطانيا الدولة التى يتحرك على أرضها كيفما شاء .. وكان عليه أن يساندها فى موقفها الذى اتخذته ضد شراء «الفايد» لهاروودز وكانت الحكومة البريطانية تفضل بالطبع أن يشتري تلك المحلات مستثمر إنجليزى وطنى.. وليس العكس .. وهو على كل الأحوال ما باء بالفشل فيما بعد حيث تمكن الفايد من الاستحواذ على الصفقة بعد أن حسمت ملياراته التى قدمها ثمناً لتلك المحلات العريقة الموقف لصالحه .. وجاءت موافقة وزير التجارة البريطانى على شراء الفايد لـ(هاردوز) .. فى نفس يوم زيارة الرئيس المصرى حسنى مبارك لـانجلترا منتصف مارس ١٩٨٥ أثناء عودته من رحلته إلى واشنطن.. وأقامت الحكومة البريطانية حفل عشاء على شرف الرئيس المصرى دُعّت إليه (محمد الفايد) .. وتولت مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية آنذاك والتى كانت تلقب بالمرأة الحديدية تقديم الفايد بنفسها للرئيس المصرى وهى تقول له (هذا هو البطل المصرى الذى اشتري أكبر محلاتنا) .. وصافح مبارك الفايد بكل فخر.. وفى اليوم التالى تصدرت صور الفايد مع مبارك ورئيسة الوزراء الصحف المصرية.. والعربية.. والبريطانية.. مما أغر صدر تاينى رولاند ضد الفايد أكثر وأكثر.. ولأن حسرته على ضياع الصفقة التى كان قاب قوسين أو أدنى منها كانت حسرة مريرة، فقد لجأ رولاند إلي مروان واستعمل شركة تابعة للأخير تسمى "أكتوجين" كستارٍ ليعين فيها عملاً سريين تابعين له برئاسة قائد شرطة إنجليزى يدعى "ديفيد كولين" لترسم وتخطط وتنفذ

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

المؤامرات ضد الفايد .. وهكذا .. وبدايةً من ذلك التوقيت .. ارتبط كل من أشرف مروان ومحمد الفايد بسيناريو واحد بعد أن تضاربت مصالحهما المالية بقوة .. حتى وإن كان ذلك بطريق غير مباشر .. وبدأت الحرب المعلنة وغير المعلنة تحدث بينهما أى شئ .. وكل شئ .. وأصبحت جميع الأوساط المالية فى العالم أجمع تنظر إليهما وتتعامل معهما باعتبارهما عدوين لدودين، لا يتفقان إلا فى الجنسية المصرية التى يحملانها، والتى بدلاً من أن توحد مصالحهما وتجمع بينهما .. ضاعت من حساباتهما فى خضم الصراع الذى امتد بينهما بلا نهاية ..

سلطان برونای .. ١١

ومن أشهر الكتب التى تعرضت لصراعات الطرفين، كتاب "من قتل ديانا؟" الذى وضعه الكاتب البريطانى الشهير الذى أشرنا لإسمه من قبل وهو "سيمون ريجان"، وهو من كبار الصحفيين العالميين المتخصصين فى متابعة قضايا وملفات المافيا وتجارة السلاح والاغتيالات السياسية.. وخصص "ريجان" أحد فصول الكتاب للحديث عن أشرف مروان وقال فى كتابه .. إن الصراع بين الاثنين استخدمت فيه أطراف عربية وأجنبية، وحيك فيه الكثير من المؤامرات والاتهامات بمحاولات اغتيال واستخدام قضايا وأسرار ووثائق ضد بعضهما البعض.. وكان التنافس يدور بالأساس على محلات "هاروودز" الشهيرة فى بريطانيا .. لكن المنافسة الأخطر كانت على أسبقية إقامة علاقات وثيقة بسلطان برونای "حسن بلقية" الذى يعتبر أغنى شخصية فى العالم.. مما يتيح لأى منهما التوسع فى مجال البزنس الخاص به ..

٣٠ ألف كلمة اتهام ضد أشرف .. !!

بعدها قام الفايد بتجهيز وترتيب ملفات ضد مروان وروланд وغيرهما من خصومه ووزعها علي الشرطة والجرائد .. وكانت الملفات تضم مستندات يصل عدد كلماتها إلي ٣٠ ألف كلمة .. وخلال العشر سنوات الماضية كانت هناك مواد منشورة عن مروان وشركائه من وقت لآخر أغلبها ليس في صالح أشرف مروان .. ورغم ذلك فإن أجهزة الحكم في بريطانيا لم تقترب من مروان بالشكل الذي يتناسب والمعلومات التي قدمها لهم الفايد .. ولا فكرت واحدة من تلك الجهات في محاسبته أو منعه من البقاء .. وهو أمر غريب جداً خاصة مع ما يعرف عن الحكومة الإنجليزية من تشدد غير عادي مع المقيمين بها من جنسيات مختلفة، مثل ممدوح حمزة المهندس الاستشاري المصري الشهير الذي ألقى الإسكوتلانديارد القبض عليه فقط، لمجرد توافر معلومات غير مؤكدة عن نيته التخطيط لارتكاب جرائم قتل على أرض بريطانيا .. لكن المؤكد أن أشرف كان له علاقات تحميه مع جهات مؤثرة ونافذة .. ليس في بريطانيا وحدها وإنما أيضاً في مصر ودول أخرى ..

اتهامات الفايد .. !!

ويؤكد محمد الفايد لـ "عبد الله كمال" رئيس تحرير روز اليوسف في الحوار الذي أجراه معه في مكتبه بلندن بعد وفاة مروان بعدة أيام .. بأنه لا يوجد بينه وبين أشرف مروان صراع شخصي .. لكنه أشرف هو الذي انضم إلى رولاند في مسألة الصراع على هاروودز .. واتهمه بأنه أخذ من «رولاند» مبالغ مالية حددها في نفس الحوار بأربعة أو خمسة ملايين جنيه استرليني.. لكي يجمع لرولاند معلومات عنه من مصر يسئ بها إلى سمعته .. وعلى حد تعبير محمد الفايد فإن أشرف مروان حاول بعدها أن يتقرب منه وأن يعتذر له .. لكنه لم يتقبل ذلك منه..

.. ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

فشل محاولات الصلح .. !!

وقد حاولت أطراف عديدة التدخل بين مروان والفايد لإنهاء الصراع وتهدة النفوس بينهما، ومن هؤلاء السفير المصرى فى لندن جهاد ماضى .. الذى قام ذات مرة بدعوة كليهما إلى عشاء فى مقر سكنه ضمن أعداد أخرى من الشخصيات العامة .. ثم اتصل بكليهما لكى يعرف ملاحظات كل منهما حتى يراعى ذلك فى ترتيبات العشاء .. وقال أشرف من جانبه إنه لا توجد مشكلة .. بينما لم يذهب محمد الفايد بعد قبوله للدعوة ..

كما حاول ذلك أيضاً على الفايد شقيق محمد الفايد .. الذى صادف أشرف مروان فى صالون الحلاقة الذى كان يذهب اليه الاثنان .. واتفقا على تصفية الأمور .. ولم تنجح المحاولة .. واستمر الصراع بينهما .. ليس باعتبارهما رجال أعمال وأصحاب ثروات فقط .. بل أحياناً تجاوز الأمر ذلك لمجالات أخرى، مثل التنافس فى التبرع للأنشطة العامة التى تخص الجالية المصرية هناك .. فعندما تبرع أشرف مروان بمائة ألف جنيه استرلينى لشراء المبنى الذى بدأت فيه الجالية نشاطها .. وهو ما يساوى ربع قيمة العقار وقتها .. قيل إن الفايد رفض التبرع هو الآخر لأن أشرف مروان سبقه فى ذلك .. واشترط لموافقته على التبرع بأن تعيد الجالية لأشرف المبلغ الذى تبرع به بالكامل .. ووعد فى حالة تنفيذ ذلك بأن يقوم هو فوراً بدفع إجمالى الثمن المطلوب للشراء .. وقوبل وقتها هذا الطلب بالرفض من القائمين على شئون الجالية هناك، مما جعل الفايد خارج قائمة مؤسسى الجالية .. وبعد وفاة أشرف مروان لم يحضر الفايد أي من العزاءين اللذين أقامتهما له السفارة والجالية فى يومين متتاليين ..

صراعاته فى مصر .. !!

وتعددت قائمة أعداء أشرف مروان كنتيجة طبيعية لتزايد نشاطه المالى والتجارى، وعندما حاول أن ينقل جزءاً من نشاطه إلى مصر، دخل فى صراعات

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

متعددة مع بعض رجال الأعمال المصريين بالقاهرة والشرق الأوسط لعبوا أدواراً مهمة ضد نشاطات مروان التجارية المتعددة التي كان يدير بعضها ابنه "جمال" و"أحمد" في مجالى الأوراق المالية والإعلام .. وسقط الاثنان فى بحور من المشاكل لا أحد على وجه التحديد يعرف إن كانت بسبب سوء إدارتهما لأعمالهما الخاصة.. أم بسبب عداوات أبيهم؟. لكن المؤكد أن كليهما كان ضيفاً على ساحات المحاكم التي شهدت بعضاً من هذه القضايا .. فأحمد - وهو بالمناسبة كان زوجاً لـ "هانيا" ابنة عمرو موسى أمين عام جامعة الدول العربية ووزير الخارجية المصرى السابق - وقع فى مشاكل مالية كبيرة بسبب تعثره فى إدارة شركته الخاصة "سيجما" ، التي كانت تعمل فى مجال سمسرة الأوراق المالية وأصبح مهدداً بالسجن أو سداد مبالغ مالية وصلت إلى ١٥٠ مليون جنيه، وتم تقديمه لمحكمة الجنايات ومنعه من السفر .. ولولا تدخل والده وصديقه المليونير السعودى الشهير "فهد الشوبكشى" لحدث ما لا تحمد عقباه ..

وهو أيضاً ما حدث بشكل آخر أقل حدة مع ابنه جمال الذى يملك ويدير قنوات "مولدى" الفضائية، حيث دخل فى صراعات كبيرة مع نجيب ساويرس بسبب قضايا شيكات وإيصالات أمانة متبادلة بينهما وتم منعه من السفر بقرار من المحكمة، وقبل وفاته بأسبوع اتصل به والده ونصحه بأن ينهى مشاكله فى أسرع وقت مع ساويرس، وحول له مبلغ مليون دولار لإنهاء تلك المشكلة .. ويبقى سر آخر كشفت عنه مؤخراً الصحافة المصرية .. وهو بأحد الصحفيين المصريين يطلب منه مستندات خاصة بفساد وطلبات إحاطة مقدمة فى مجلس الشعب ضد أحمد عز واهتمامه الشديد بهذا الموضوع فماذا كان فى جعبة أشرف بخصوص أحمد عز.. سؤالبقى بلا إجابة!! ..

علاقته ببرجمان ١١

من غرائب ملف أشرف مروان هذه العلاقة .. التى بدأت عدائية .. وانتهت ودية .. بشكل يطرح العديد من علامات الاستفهام^(١) ..

المهم أن برجمان يقول إنه جمعه لقاء شخصى واحد فقط بأشرف مروان .. حدث ذلك يوم ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٣ .. وكان هذا هو اللقاء الأول والأخير بينهما .. ودار فى بهو أحد الفنادق بلندن .. ويومها كما يقول برجمان كان أشرف متوتراً بشكل غريب .. لكنه كان على المستوى الإنسانى رائعاً .. وبدأ بيننا الحوار وكان يتلفت يمنة ويسرة بشكل مثير للانتباه .. وعندما مددت يدي لأعدل الكرافت الخاص بى ازداد توتره وكأنه يخشى أن أكون أسجل حوارى معه .. أو أصوره مثلاً بطريقة ما .

ويؤكد برجمان أن إهتمامه بموضوع أشرف مروان كان قد بدأ قبل ذلك بسنوات طويلة، وحتى قبل أن يتمكن من فك طلاسم ومعرفة الشخصية الحقيقية لمن تطلق عليه ملفات الموساد تسمية "الصهر" أو "العميل بابل" وتحديدًا بعد أن قرأ كتاب إيلى زاعيرا "الأسطورة مقابل الحقيقة" الذى صدر عن حرب أكتوبر عام ١٩٩٣، وعرض فيه بشكل غامض لشخصية مصرية رفيعة المستوى لعبت دور العميل المزدوج بين الجانبين المصرى والإسرائيلى .. فبدأ بعدها برجمان رحلته لكشف حقيقة هذه الشخصية، وأخذ يتابع ويقرأ ويحلل كل ما كتب عن حرب أكتوبر وما صاحبها من أحداث طوال هذه الفترة، حتى تمكن أخيراً من تحديد هويته والوصول إلى قناعته الشخصية فى هذه القضية .. التى يصفها برجمان فى كتابه قائلاً .. بالنص:-

"إن إسرائيل سقطت فى السادس من أكتوبر فى فخ نصبه لها عميل مزدوج.. نجح فى تضليل وخداع جهاز المخابرات الإسرائيلية فى مرحلة ما قبل حرب أكتوبر.. ونجح هذا العميل فى اتباع استراتيجية بعيدة المدى .. بدأت بتقديم

١- خاصة أنه تردد فيما بعد أن الصحفى الذى كان يتولى كتابة مذكرات أشرف مروان .. ورفض أشرف أكثر من مرة التصريح باسمه .. لماذا ؟ لا أحد على وجه التحديد يعلم السبب ..

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

معلومات صحيحة وقيمة لكسب ثقة الإسرائيليين .. مما زاد يقين الإسرائيليين بأن العميل بابل كان ركناً أساسياً في فشل إسرائيل في حرب أكتوبر " ..

كانت مصر كلها هناك .. !!

ويذكر أنه بعد أن إلتقى بمروان بدأت علاقتهما تأخذ حيز الاهتمام المتبادل حتى وأن لم يلتقيا بعدها أبداً .. وفي لقائهما المشار إليه يقول إن أشرف أكد له أنه هو الذى كان يكتب كل خطابات السادات .. وعندما سأله عن حقيقة لعبه دور العميل المزدوج، رد عليه أشرف قائلاً :-

"إنه كان يعمل ضمن مجموعة تضم ٤٠ فرداً .. مهمتها أن تعزز لدى الجانب الإسرائيلي مفهوم أن مصر لن تستطيع أبداً دخول الحرب على الأقل لعدة سنوات قادمة " ..

وعاد ليسأله نفس السؤال الذى كان يبدو أن أشرف يتهرب منه بطريقة دبلوماسية .. لكن هذه المرة عندما كان أشرف يستعد للقيام بعملية جراحية خطيرة فى القلب بأمريكا، وكان أشرف هو الذى طلبه على هاتفه المحمول واستمر الحوار بينهما لمدة ٤٠ دقيقة .. وعندما كرر برجمان نفس سؤاله القديم، رد عليه أشرف هذه المرة بجملة يقول برجمان إنه لن ينساها أبداً .. قال له :-

"لم يكن هناك عميل مزدوج .. ولكن كان هناك مصر كلها " ..

واهتم برجمان بعد ذلك بأن يبقى علاقته بمروان دائماً فى دائرة التواجد من حياة واهتمامات الأخير .. وكان يهتم بأن يجمع لمروان ما تنشره الصحف الإسرائيلية بخصوصه ويرسله له .. وكان آخر مرة عندما جمع له بعض ما كتب فى الصحافة الإسرائيلية تعليقاً على حكم المحكمة فى قضية زعيرا، والتي كان هو محورها ووضعتها فى مظروف وأرسلها إليه، فاتصل به مروان على هاتفه المحمول

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

ودار بينهما الحديث التالى :-

برجمان : سلام .. كيف الأحوال؟

مروان : على ما يرام .. كيفك حالك أنت ؟ لقد استلمت مظروفك ..

ثم أخذ برجمان يحكى لمروان تفاصيل ونتائج الحكم الذى انتهت إليه المحكمة الإسرائيلية .. وسأله مروان: وما هى نهاية ذلك؟

برجمان : فى النهاية نشر القاضى اسمك ولدى التقرير الخاص بالحكم .. لكنى لن أستطيع تبليغك إياه حتى لا أتهم بأشياء ربما لست مضطراً لتبليغها ..

مروان : فهمت!!

وتعهد برجمان أن يحضر معه فى لقاءهما القادم حكم المحكمة ليراه مروان بنفسه .. وانتهى بينهما الحوار بتبادل الكلمات التالية ..

برجمان : بشكل عام كيف حالك؟

مروان : على ما يرام باستثناء ذلك الصداع ..

وكان مروان يقصد الكتابات التى تروج لها الصحافة الإسرائيلية ضده وما كانت تسببه له بلا شك من مشكلات عديدة على كافة الأصعدة ..

وأصبح مروان شخصاً آخر .. !!

ويؤكد برجمان أن أشرف اتصل به قبل وفاته بفترة وجيزة ثلاث مرات فى ساعة واحدة، وهو ما لم يحدث من قبل على الإطلاق وترك له ثلاث رسائل على جهاز "الأنسرماشين" .. ويصف ذلك بقوله إن اتصال أشرف بهذه الصورة إنما كان بلا شك يعبر عن أزمة شديدة كان يمر بها الرجل .. فلم يكن هذا أبداً هو أشرف مروان الذى أعرفه .. كان شخصاً مختلفاً ..

عقدة ذنب .. !!

والمؤكد أننا نلمح من بين ثنايا حديث برجمان تعاطفاً واضحاً مع الرجل الذي كان هو نفسه السبب الرئيسي في كشف شخصيته وفضح دوره، الذي ظل طى الكتمان قرابة الثلاثين عاماً، وقد صرح برجمان للعديد من الصحف العالمية بعد مصرع أشرف مروان أنه يشعر بعقدة الذنب في كشفه شخصية أشرف مروان، الذي من المحتمل أن يكون دفع حياته ثمناً لهذا الكشف .. ولكنه على حد تعبيره قد يلتمس لنفسه العذر لأنه كان يؤدي عمله المطلوب منه كصحفي يبحث عن الحقيقة ليقدمها للناس.. في نفس الوقت الذي كان فيه أشرف يؤدي هو الآخر عمله لخدمة بلاده .. "فقد كان كل منا يؤدي عمله بالشكل الصحيح، لكن كان أشرف مروان من وجهة نظري جاسوساً أكثر من اللازم" ..

إلى بطل مصر .. !!

بلا شك كان برجمان يقصد أن أشرف كان جاسوساً لصالح وطنه، وكان مقتنعاً تماماً بذلك بدليل أنه اعترف في نفس الحديث بأنه أهدى أشرف كتابه الأول، وكانت صيغة الإهداء كالتالي :-

"إلى أشرف مروان بطل مصر"

وكانت صرخة التي أطلقها "برجمان" في وجه الجميع هناك بقوله لصحيفة "يديعوت أحرونوت" :

"علي الجدل الإسرائيلي حول أشرف مروان أن يتوقف .. لأن أشرف مروان كان مجرد بطل قومي مصري .. وصورة مبارك الذي قاتلنا في حرب أكتوبر وهو يحتضنه بمودة وتقدير كبيرين أبلغ من ألف سجال أكاديمي .. هذا إن كنتم تعلمون" .

الفصل الرابع

آخر الرحلة !!

جلست منى بعد انصراف المعزين فى شقة لندن .. والتى شهدت أجمل أيام حياتها مع زوجها الراحل .. كانت شلالات الدموع لاتزال تنهمر من عينيها وهى تنظر لكل ركن وقطعة أثاث بالشقة .. وتتذكر أيامهما معاً فى العاصمة البريطانية..

أحلى الأيام .. !!

كان طبيعة عمل أشرف مروان تفرض عليه التنقل الدائم بين القاهرة والعديد من دول العالم طيلة العام .. أما أحلى أيامه فقد يقضيها مع زوجته فى " ماربيلا " الإسبانية، التى يسافران إليها شهرى يوليو وأغسطس من كل عام .. للاحتفال هناك بعيد زواجهما فى السابع من يوليو .. بالفندق الخاص الذى كان يملكه أشرف.. وكانت تديره فيما قبل شركة شيراتون العالمية قبل أن يفسخ عقده معها ويتولى إدارته بنفسه .. ولهذا الفندق قصة طريفة.. حيث اشتراه أشرف مروان عام ١٩٨٠ مصادفة.. حيث كان يتناول عشاء مع بعض أصدقاءه الأسبان بمطعم الفندق وانبهر بطرازه وجمال الطبيعة الخلابة التى تحيط به من كل مكان.. وأشاد بذلك فى معرض حديثه مع أصدقاءه أثناء العشاء.. فردّ عليه أحدهم قائلاً إن هذا الفندق كان معروضاً للبيع هذه الليلة بمبلغ سبعة ملايين دولار.. لكن اختلف أصحابه مع المشترين الذين أرادوا تخفيض المبلغ ورفضوا البيع.. عندها أخرج أشرف دفتر شيكاته.. وذهب إلى أصحاب الفندق فى نفس الليلة واشتراه بنفس المبلغ الذى حددته من قبل وهو السبعة ملايين دولار.. وعندما اعترض مرافقوه واتهموه بالتسرع فى

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

عملية الشراء.. أكدّ لهم أن الفندق قيمته الحقيقية لا تقل عن ٢٠ مليون دولار.. وبعدها تبين لهم بعد نظر أشرف مروان.. وتحول الفندق الذى يسمى (سونفيرا) إلى الفندق الأول بتلك الجزيرة الأسبانية الساحرة.. وكان من عادة أشرف وزوجته أن يستقبلا أصدقاءهما المقربين فى هذا الفندق أثناء إقامتهما السنوية به، وقيمان لهم حفلات خاصة يستقدم أشرف خصيصاً لإحيائها من مصر المطرب عمرو دياب والراقصة دينا اللذين كانا أقرب الفنانين إليه .. وكان كريماً للغاية مع ضيوفه الذين كان ينفق عليهم بسخاء ويمنحهم ما يكفى للتسوق هناك .. بجانب هداياه الخاصة التى يعودون بها فى نهاية فترة استضافته لهم ..

تصريحات متأخرة..

قطع شرودها صوت جمال ابنها ممسكاً ببعض الجرائد ويقرأ بصوت عال مانشيت إحدى الصحف المصرية :

"تصريحات الرئيس مبارك بخصوص وفاة أشرف مروان" .. لم تدعه منى يكمل قراءته.. خطفت منه الجريدة وهى تقرأ .. ثم زادت حدة بكائها وهى تقول: وأين كانت تلك التصريحات وسكاكينهم تنهش فى سيرته.. وتتهمه بالخيانة؟.. لماذا جاءت تلك التصريحات متأخرة ..

مبارك يحتضن أشرف !!

وعادت بالذاكرة للوراء وهى تتذكر يوم السادس من أكتوبر ٢٠٠٤ عندما كانت أسرة الزعيم الراحل عبد الناصر جميعهم ملتفين حول قبره .. ينتظرون مقدم الرئيس مبارك كعادته كل عام .. لم يكن أشرف يحضر عادةً هذا اللقاء الأسرى السنوى .. كانت أشغاله وأعماله خارج مصر تحول بينه وبين ذلك .. لكن هذا العام تحديداً

ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

وردت تعليمات لزوجها بضرورة حضوره إلى مصر ليقابل الرئيس فى نفس التوقيت ونفس المكان .. وجاء الرئيس .. الذى صافح أفراد الأسرة مصافحة رسمية جداً وربما شابها الجدية الشديدة وبعض التجهم من الطرفين بما يقتضيه الموقف .. فالحدث هو ذكرى وفاة .. والمكان أمام ضريح المتوفى .. ولكن حين صافح الرئيس أشرف تخلى عن ذلك الانطباع وبدأ ودوداً للغاية .. وعلت وجوه الجميع ابتسامة حميمة .. خاصة كلاً من الرئيس مبارك وأشرف مروان .. وكان لاشك أن الموقف ككل يحمل فى طياته رسالة ما يريد الرئيس المصرى أن يوصلها للجميع .. وهى: كيف يمكن للرئيس المصرى وهو ليس فقط رئيس الدولة بل القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية .. والقائد السابق للقوات الجوية فى حرب أكتوبر .. وأحد أبرز قادة الحرب أن يحتضن خائناً ؟ .. إذ لو كان هناك ذرة من الشك فى أشرف مروان لما حدث ذلك ..

إنه هو .. !!

فى نفس التوقيت كان هناك ضابط مخابرات اسرائيلى يجلس وراء مكتبه يمارس عمله بمبنى الموساد، وهو المنوط به متابعة القنوات العربية .. وعندما شاهد هذا الموقف انتفض من مكانه ليصرخ قائلاً: إنه هو !! .. بعدها تم حفظ الشريط المسجل عليه هذا اللقاء مرفقاً به تعليق المخابرات الإسرائيلية فى جملة قصيرة تقول: "وهكذا .. لم يتبق مجال للشك .. فما كان الرئيس المصرى حسننى مبارك ليعامل أكبر خائن عرفته مصر فى تاريخها هذه المعاملة" ...

دعوة خاصة !!

وبعدها جاء الرد للمرة الثالثة من مبارك أيضاً عندما دعا أشرف إلى حفل زفاف ابنه جمال ..

لندن مساء التاسع والعشرين من يونيو ٢٠٠٧ !!

كان التعب والإرهاق الشديديان يستبدان بمنى عبد الناصر تماماً .. فهي لم ترَ النوم بعينيها من لحظة علمها بالخبر أثناء وجودها فى بيروت .. حيث سافرت من فورها إلى القاهرة .. ومن هناك إلى لندن .. فاستسلمت لسلطان النوم .. لكن أى نومٍ يطول عيون من يعيش لحظات الفراق الغامض .. والمفاجئ .. نفس الآلام .. والمرارة .. والشعور القاتل بالوحشة .. والغربة .. التى شعرت بها يوم وفاة أبيها .. يوم مات الزعيم عبد الناصر .. عندما خرجت مصر كلها عن بكرة أبيها .. تودع الرجل الذى لم يكن أباً لها هى وحدها .. بل كان أباً لكل مصري وعربى .. الرجل الذى عاش حياته لأجل العروبة .. ومات حزناً على حلمه الذى لم يتحقق .. بعد أن وأده طوفان الخذلان العربى الذى أحاط به من كل جانب .. وأخذ يتلاشى أمامه .. يوماً وراء يوم .. والناس غير مصدقين .. يطوفون الشوارع .. يحملون صورهم .. جنازات مهيبه تخرج فى كل محافظات مصر .. يلفون نعشاً فارغاً يحتوى أحلامهم .. وآمالهم .. وعشقهم للرجل الذى يتخيلونه راقداً فيه .. والحقيقة أنه مات جسداً فقط ... بينما سكن للأبد فى وجدان كل مصري .. وعربى .. وتساءلت بينها وبين نفسها: بالأمس شاركها الملايين من المحيط للخليج لوعة وفاة أبيها .. فمن يشاركها اليوم لوعة فراق الحبيب .. والزوج ؟ .. من بعد كل تلك الاتهامات التى طالت زوجها حياً .. واشتعلت أكثر بعد وفاته ولم يدافع عن نفسه .. وعندما كانت تسأله: ولم الصمت ؟ .. كان يرد عليها بقوله : " ولا يهملك .. دعيهم يقولون ماشاءوا .. من ينظر إلى الشمس فى عز النهار ولا يراها يبقى مش عايز يشوفها .. مصر عندى أهم من نفسى ومن كل شئ .. وسيأتى وقت يعرف فيه الناس الحقيقة .. ليس عن طريقى .. إنما عن طريق الدولة وقيادتها " ..

كنت جندياً أدى دوره .. !!

وعندما طلبها منذ فترة بسيطة ليأخذ رأيها في العرض الذي تلقاه من إحدى القنوات الفضائية الأمريكية عن طريق الصحفي العالمى "هوارد بلوم"، للظهور فى أحد البرامج التى تذيعها القناة للرد على ما تروج له إسرائيل ضده.. فرحت كثيراً فى البداية وأقنعته بالموافقة .. وأخيراً استجاب لها ووافق .. إلا أنه فاجأها باعتذاره فيما بعد .. دون إبداء أية أسباب لذلك .. وحكى لها تعليق الصحفي الأمريكى على رفضه، وكيف أنه حاول أن يستفزه للرجوع عن اعتذاره قائلاً له : إذن أنت خائف!!.. فرد عليه أشرف بقوله :-

"لماذا أخاف ؟ لقد كنت مثل جندي أدى دوره" .. وأصر على إعتذاره مؤكداً له أنه سوف يقول كل ما لديه فى مذكراته التى ستصدر بعد حين .. ولن يتحدث إلا بعد أن ينتهى من كتابتها ونشرها ..

أين المذكرات ؟ !!

وهنا تذكرت منى موضوع المذكرات .. وقامت لتبحث عنها فى كل مكان بالشقة دون جدوى .. كأنها دخان وتلاشى .. كانت منى تعلم أنه كان تقريباً قد انتهى من وضع كلمته الأخيرة موثقة ومتكاملة فيما يخص سيرة حياته فى مذكرات واضحة اختار لها اسم "الحقيقة" .. وأكد لها قبل وفاته أنه حصل على إذن خاص من البنتاجون - وزارة الدفاع الأمريكية - للاطلاع على وثائقها الخاصة بحرب أكتوبر بغرض توثيق دوره فى الحرب، وإضافته إلى مذكراته التى كان بصدد الانتهاء من كتابتها، وكان من المفروض أنه مسافر نفس يوم وفاته للولايات المتحدة الأمريكية، لمراجعة الفصل الأخير منها تمهيداً لصدورها فى ثلاثة أجزاء كل جزء يقع فى مائتى صفحة باللغة الإنجليزية فى عيد النصر فى أكتوبر القادم .. فأين ذهبت تلك المذكرات؟ وأين ما أملاه منها على ذلك الصحفي الذى اختاره بنفسه ليقوم بتحريرها ومن هو هذا

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الصحفى ٩. وأين ما تم إملأؤه منها ٩. هل بقى فى حوزة ذلك الصحفى المجهول ٩. وأين عشرات الشرائط المسجلة بصوته من تلك المذكرات ٩. أسئلة كثيرة بقيت تتردد داخلها بلا إجابة !! ..

فى صباح اليوم التالى غادر الجميع الشقة متوجهين أولاً إلى المستشفى الموجود بها الجثمان ليلقوا عليه النظرة الأخيرة .. بعدها توجهوا بصحبة السفير المصرى لمقر الشرطة البريطانية ليتابعوا سير القضية .. وما بين شهادة الشهود .. والتحريات المبدئية .. وانتظار واستعجال تصريح الدفن .. عاشت أسرة أشرف أوقاتاً عصيبة .. وهم ينتظرون إفراج جهات التحقيق عن الجثة لإنهاء إجراءات شحنها إلى القاهرة ..

فى سرادق العزاء !!

وفى مساء نفس اليوم أقامت السفارة المصرية عزاءً خاصاً أوفدت إليه الدولة خصيصاً وزير الاستثمار محمود محيى الدين ليشارك أسرة الفقيد ورجال السفارة تقبل العزاء هناك .. وبعدها بيوم واحد أقامت الجالية المصرية فى لندن عزاء آخر حضره قرابة ٥٠٠ شخص من أبناء الجاليات المصرية والعربية فى لندن .. وكانت الجالية تدين لهذا الرجل بالكثير .. فلولا ما ارتفعت لافته "الجالية المصرية بالملكة المتحدة" فوق المبنى الواقع بحى « كينزجتون أند تشيلسى » .. ذلك المبنى الذى خاض أشرف مروان من أجله معارك قانونية متعددة ونضالاً قانونياً عنيفاً مع مجلس الحى لكى تقام مراسم صلاة الجمعة فى المقر .. وفرض ذلك على الحكومة البريطانية التى كانت تعارض الأمر فى البداية وترفضه حتى نجح فى إقناعهم .. وبعد عدة سنوات تخللتها صراعات قضائية طويلة على ملكية العقار الذى يقع فيه المقر الخاص بالجالية، كان الوقت قد حان لإنهاء ملكيته لصالح الجالية .. وهو الأمر الذى كان يحتاج إلى حوالى ستين ألف جنيه استرلينى لمصاريف التقاضى .. وتحدد لذلك موعد بعد عدة أسابيع .. فاتصل بعض أعضاء الجالية بأشرف مروان ظهيرة يوم

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الاثنين قبيل الوفاة بـ ٤٨ ساعة فقط، وعرضوا عليه الأمر وأشاروا إلى عجزهم عن تدبير المبلغ .. فطمأنهم أشرف .. وتعهد بتسليمهم شيكاً بكامل قيمة المبلغ المطلوب .. واتفقوا على اللقاء معه فى فندق "جلوفرنس هاوس" الواقع بمنطقة ماى فير وسط لندن يوم الخميس .. لكن اللقاء لم يتم حيث توفى قبل الموعد بيوم واحد.

الإفراج عن الجثمان))

رَنّ الهاتف فى يد منى .. كانت هى وابناها فى غرفة النائب العام البريطانى .. يتسلمون قرار الإفراج عن الجثمان .. كان على الطرف الآخر واحد من أحفادها ييكى .. وهو يسألها .. "تيتة، هو جدو مات بجد" .. انهمرت الدموع فى عيون السيدة .. فقد كان الموقف ككل فوق احتمالها .. تناول جمال الموبايل من يد والدته .. وهو يهدئ من روع الطفل الذى كان ييكى بحرقه، وهو يتذكر آخر لقاء جمعه بجده عندما كانوا يحضرون لزيارته من وقت لآخر، خاصةً بعد انقطاعه عن زيارة مصر آخر ثلاث سنوات من حياته بسبب الادعاءات الإسرائيلية .. وكان يصحبهم إلى المسارح والملاهى ويقضون بصحبته أحلى أوقاتهم .. وقبل شهر واحد من وفاته اصطحب أحفاده جميعاً مع زوجته ولديه جمال وأحمد إلى مسرح "سكويبدو لايف شو" .. وانتظر كثيراً حتى وصلوا إليه عند باب المسرح .. واشترى لهم بعض اللعب والحلويات .. ثم دخلوا جميعاً لمشاهدة العرض ..

انتهاء الإجراءات ..))

انتهت الإجراءات فى دقائق معدودة .. خرجوا جميعهم من عند النائب العام البريطانى .. متوجهين إلى مشرحة المستشفى لتجهيز باقى الإجراءات .. فى الطريق أخبرهم السفير المصرى أنه أصدر أوامره لمكتب المتابعة بالسفارة ليقوموا بترتيب باقى الإجراءات .. من حجز الطائرة .. وإنهاء إجراءات شحن الجثمان ..

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

من لندن للقاهرة .. تفاصيل الرحلة الأخيرة .. ١١

وفى اليوم التالى وهو يوم السبت الموافق الأول من يوليو ٢٠٠٧ كان كل شيء قد انتهى .. حصلت الأسرة على صورة التقرير الطبي الخاص بفحص وتشريح الجثة موقعة من الطبيب البريطانى "بول أنتونى" .. التقرير أرجع سبب الوفاة إلى وجود كسور متعددة بالجثة وانفجار بالشريان الأورطى .. وتم لصق صورة ضوئية معتمدة من قبل جهات التحقيق البريطانية أعلى الصندوق الذى احتوى جثمان أشرف مروان .. وفى سيارة خاصة تم حمل الجثمان إلى حيث مسجد المنتدى الإسلامى بلندن لتقام عليه صلاة الجنازة بإصرار وإلحاح من جميع أفراد الجالية المصرية هناك .. والذين تجمعوا حول المستشفى لحظة خروج الجثمان .. وساروا بسياراتهم خلفه فى مشهد لا تعيشه العاصمة البريطانية كثيراً .. وكأنهم فى مظاهرة حاشدة ..

وفى الرابعة من عصر نفس اليوم كان جثمان أشرف مسجى فى صندوق يقبع أسفل طائرة شركة مصر للطيران العائدة إلى مصر فى رحلتها رقم ٧٧٨ .. تحركت الطائرة لتقلع من مطار "هيثرو" بلندن ذلك المطار الذى كان يُقلع .. ويهبط منه أشرف مروان أكثر من مائة وخمسين مرة فى العام الواحد فى الرابعة والنصف تقريباً .. لتصل إلى مطار القاهرة الدولى فى تمام الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء اليوم نفسه ..

وضع استثنائى .. ١١

وعندما فُتحت أبواب الطائرة ظهرت منى عبد الناصر .. تلك السيدة التى كانت هى تميمة النجاح فى مشوار حياة أشرف مروان الحافل .. وكانت قبل عدة أيام فقط زوجته وأصبحت اليوم أرملته .. كانت تهبط درج الطائرة شبه منهارة تنظر لمن حولها بعيون تحجرت فيها الدموع غير مصدقة لما يحدث .. تتحسس طريقها

ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

إلى صالة كبار الزوار التي فتحت خصيصاً للأسرة يسندها من خلفها ابناها جمال وأحمد القادمان معها على نفس الطائرة مصطحبين الجثمان فى رحلته الأخيرة من لندن إلى مطار القاهرة، الذى كان يومها فى وضع استثنائى ربما لا يشهده إلا نادراً .. خاضعاً مباشرة لإشراف الفريق أحمد شفيق وزير الطيران المدني المصري وقائد القوات الجوية الأسبق، الذى كان فى استقبال أسرة أشرف هو والدكتور زكريا عزمى رئيس ديوان رئيس الجمهورية .. وآخرون ..

وخصصت رئاسة الجمهورية سيارة إسعاف لنقل الجثمان من مطار القاهرة الدولي إلى مستشفى القاهرة التخصصي ..

وفى العاشرة والنصف تماماً من صباح السبت خرج الجثمان فى السيارة الخاصة إلى مسجد "عمر بن عبد العزيز" - بضاحية مصر الجديدة شرق القاهرة والمجاور لنادى هليوبوليس- المكان الذى شهد الشرارة الأولى لصعود نجم أشرف مروان لحظة تعارفه والتقاءه للمرة الأولى بزوجته منى ..

وبدأت مراسم إقامة صلاة الجنازة على الجثمان الذى تم لفه بعلم مصر .. وقبل صلاة الجنازة ألقى الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر كلمة قصيرة قال فيها "جئنا اليوم لنودع رجلاً كان مخلصاً لدينه .. ووطنه" .. ثم أمَّ شيخ الأزهر جموع المشيعين لأداء الصلاة على الجثمان .. كان يتقدم المصلين الدكتور أحمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب، وصفوت الشريف رئيس مجلس الشورى .. وممثل رسمى عن رئاسة الجمهورية .. ورؤساء الأحزاب .. بالإضافة للعديد من السياسيين والنواب ورجال الإعلام والشخصيات العامة .. وغيرهم .. بالإضافة لجمال مبارك نجل رئيس الجمهورية .. واحتشد داخل وخارج المسجد آلاف المواطنين الذين كانوا ما يزالون يشمون فى الراحل عقب صهره الزعيم الكبير جمال عبد الناصر، الرجل الذى يأبى إلا أن يكون حاضراً على الدوام فى وجدان غالبيتهم .. وساروا خلف

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

سيارة الإسعاف التى خصصتها رئاسة الجمهورية لنقل الجثمان .. وتوقفت السيارة قبل المدفن بمائة متر تقريباً ، حيث حمل النعش ولداه جمال وأحمد وبعض المشيعين .. وشقوا طريقهم إلى مقابر عائلة عبد الناصر بمدافن الضباط الأحرار بجوار كلية البنات بضاحية مصر الجديدة بالقاهرة ..

وورى الجثمان التراب وتم تشييعه إلى مثواه الأخير وسط أجواء غاية فى الحزن والأسى بشكل يكاد ألا يتكرر إلا نادراً ، ويحمل فى طياته رسالة عنوانها الوحيد هو (الحقيقة) التى كانت واضحة وضوح الشمس لكل ذى بصيرة يبصر ويدرك من الأمور حقائقها .. وانتهت جميعها إلى شئ واحد وهو أن الرجل ماكان يوماً خائناً لوطنه .. بل كان ناسكاً .. زاهداً .. متعبداً فى محراب البلد التى عاش حالة إنسانية ووطنية فريدة من نكران الذات لأجله ..

وفى المساء وبمسجد آل رشدان بمدينة نصر .. وقفت أسرة أشرف مروان تتلقى العزاء فى الرجل الذى أثار أكبر موجة من علامات الاستفهام فى تاريخ الجاسوسية فى الشرق الأوسط .. ثم رحل وتركها جميعاً بلا إجابة.

الفصل الخامس

إتهامات طالت أشرف مروان!!

كانت حياة أشرف مروان صراعاً دائماً .. فى كل وقت .. وكل اتجاه .. وطالته العديد من الاتهامات وصفته بأنه كان ضليعاً فى التخطيط والتمويل للعديد من العمليات الإرهابية الأخرى .. ذكرنا جانباً منها على هامش علاقاته الخاصة .. وتحديداً فى نطاق ما لاقاه من صراعات مالية .. لكن بقى اسم أشرف يتردد فى العديد من القضايا الأخرى .. وصل فيها الاتهام للقتل .. لكن أيضاً دون أدلة أو أسانيد تؤكد هذه الاتهامات أو تنفيها .. لعل أشهرها كان اتهامه بأنه وراء مصرع "الليثى ناصف" .. و"سعاد حسنى" .. و"ديانا ودودى الفايد" ، وكانت كل هذه الاتهامات مجرد ادعاءات .. وأقاويل بلا سند .. ولعل أشهر كتابين روجا لتلك الشائعات هما كتاب "حرب يوم الغفران" .. وكتاب "من قتل ديانا" .. الكتاب الأول ومؤلفه هو "برجمان" روج لكون أشرف وراء مصرع الليثى .. وسعاد حسنى .. والثانى مؤلفه هو "سيمون ريجان" وروج لضلوع أشرف فى قتل ديانا ودودى .. دون أن يشير أى كتاب منهما لدليل واحد يؤكد مزاعم مؤلفيه ..

ونبدأ بالحكاية الأشهر .. والأكثر شيوعاً وهى القضية التى هزت أرجاء العالم قاطبةً ..

حكاية ديانا ودودى !!

أجمعت معظم الكتابات التى تناولت هذه القضية على مدار العشر سنوات الماضية أن الحادث كان مؤامرة مدبرة ضد الأميرة والشاب العربي الأصل وحيد

أبيه .. وأغلب الظن أن بداية التعارف بين دودى والأميرة كانت فى إحدى زياراتها لمحلات "هاروودز" التى كان أفراد الأسرة المالكة بما فيهم الملكة اليزابيث نفسها يشترون منها احتياجاتهم كما أشرنا لذلك من قبل .. لكن تبقى الحقيقة التى أجمع عليها كثيرون وهى أن خصوم الفايد وأعداءه .. وما أكثرهم .. كانوا يتمنون قتل الفايد نفسه، لكنهم لم يجدوا أمامهم سوى قتل ابنه الكبير .. على الأقل لي شعروا بالسعادة لشعور الفايد بالوجع الشديد على ابنه .. وكان أعداء الفايد قد استشعروا خطراً شديداً على مصالحهم الخاصة بعد ما تردد من عزم دودى الفايد والأميرة التى امتلكت القلوب فى إنجلترا على الزواج .. وبات الزواج وشيكاً بعد ما تردد أيضاً أن الأميرة حامل بالفعل من دودى .. وهى فى نفس الوقت أمّاً لولى العهد الذى سيحكم المملكة إن أجلاً أو عاجلاً .. أى أن محمد الفايد من الممكن أن يصبح بين عشية وضحاها جداً لشقيق ملك بريطانيا القادم .. وما سيمنحه هذا الوضع له من مكانة اجتماعية وثقل اقتصادى غير مسبوق .. وعرفوا كيف يدبرون ويمولون أجهزة عالمية عالية الذكاء لكي تنفذ جريمة اغتيال كتلك يصعب كشفها وحل لغزها .. أما عن ديانا فلم تكن لتهمهم من قريب أو بعيد ..

وفى الكتابين حاول كل من المؤلفين إلصاق تهمة قتل دودى وديانا لمروان باعتباره أحد أعداء "محمد الفايد" اللدودين .. وأنه الوحيد من قائمة أعداء الفايد ممن له صلة وثيقة ومباشرة بأجهزة المخابرات التى نفذت تلك العملية .. كما أن دودى كان قد سبق وصرح فى الصحافة البريطانية بأنه يستعد لتصوير فيلم سينمائى عن حياة أشرف مروان اسمه (الطفل المعجزة) فرد عليه مروان مهدداً إياه باللجوء للقضاء البريطانى فى حالة حدوث ذلك.

حكاية الليثى ناصف !!

اختار الرئيس عبد الناصر "الليثى ناصف" لتأسيس وقيادة الحرس الجمهورى لثقتة الشديدة فى شخصه .. ثم استمر الرجل فى منصبه أيام السادات .. بعدها قام بدور هام فى اعتقال رموز مراكز القوى بدايةً من الفريق محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة وعلى صبرى .. وسامى شرف .. وأحمد كامل المسئول عن المخابرات وقتها .. وشعراوى جمعة .. ولبيب شقير .. وعبد المحسن أبو النور .. وغيرهم .. وذهب إلى السادات فى منزله ليؤدى له التحية العسكرية ويطمئنه مؤكداً له أنه منذ تلك الليلة فقط يستطيع أن يحكم مصر .. بعد أن أصبح حاكمها الأوحـد ويستطيع أن ينام ملء جفونه .. فكافأه السادات بتكريمه عام ٧٢ ومنحه رتبة الفريق وعينه كبيراً للياوران وقائداً للحرس الجمهورى .. وفجأة بعدها اتخذ قراراً بعزله من منصبه ونقله من السلك العسكرى إلى السلك الدبلوماسى وعينه سفيراً لمصر بلندن .. هذا الرجل عثر عليه صباح الرابع والعشرين من أغسطس ١٩٧٣ جثة هامة أسفل عمارة «ستيورت تاور» .. بعد أن سقط من الدور العاشر حيث كان يسكن هناك فى شقة أشارت بعض الكتابات فيما بعد أنها كانت تتبع جهازاً أمنياً مصرية .. وكان فى هذه الفترة يعالج من تكرار إصابته بدوار شديد يعتريه من وقت لآخر .. وبينما كانت زوجته فى إحدى الغرف بالشقة شعرت بتأخر خروجه من الحمام الذى كان قد دخله منذ وقت .. فطرقت عليه باب الحمام أكثر من مرة ولما لم تسمع إجابة فتحت باب الحمام فلم تجد زوجها .. ظنت فى البداية أنه قد خرج وارتدى ملابسه دون أن تشعر به، ونزل ليمارس رياضة المشى التى كان معتاداً عليها فى هذا التوقيت من كل يوم .. بعدها بدقائق سمعت طرقة على الباب، وعندما ذهبت لتفتح فوجئت بضابط من الشرطة البريطانية يخبرها بأنه قد عثر على جثة زوجها أسفل البناية اللندنية الشهيرة .. وعندما هرولت إلى أسفل شاهدت جثة زوجها والشبشب الذى يرتديه فى قدميه كما هو .. ولم تجد أثاراً لأية دماء على الجثة (!!).. التبرير الشائع فيما بعد أن الليثى كان يقف فى شرفة الشقة وأصيب

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

بدوار شديد أفقده توازنه فسقط من الشرفة .. التصور غير الرسمي للحادث على لسان الزوجة أن هناك مجهولون اختفوا ليلة الحادث فى مكان ما بالشقة، وفى الصباح عندما واتتهم الفرصة تمكنوا من الرجل ووضعوا كمادة بها مخدر على أنفه ثم سحبوه إلى أسفل حيث قتلوه بطريقةٍ ما، وألقوه حيث عثر فيما بعد على جثته ..

مبررات الانتحار .. !!

هناك من قال إن الليثي ناصف كان مريضاً .. ومر بتراجعات وظيفية حادة بعد أن كان قائد الحرس الجمهوري واللاعب الأهم فى تصفية ما عرف بمراكز القوى فى بداية عهد الرئيس السادات .. وفجأة وجد نفسه خارج المضمار تماماً، فى الوقت الذى كان يتخيل فيه أنه أصبح الأقرب والأهم عند السادات وهو الذى قام بحمايته وسلم له مصر على طبق من ذهب، فوجئ بأنه يقصيه تماماً عن الطريق بعد صدامهما الشهير .. وعلى حسب ما أكدته الدكتور محمود جامع أحد الأصدقاء الشخصيين للرئيس السادات فى مذكراته الشخصية، فإن الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري أنقذ السادات أيضاً من عدة محاولات اغتيال .. وأنقذ مصر كذلك من حرب أهلية حينما طلب الليثي من السادات إصدار قرار بأن تكون تبعية الحرس الجمهوري لرئيس الجمهورية وحده .. ويتم عزله تماماً عن الجيش .. وهو ما أتاح لليثي القدرة على التحرك والدخول بقوة للقبض على مراكز القوى .. وقام الفريق الليثي ناصف بتقديم استقالته من ديوان رئاسة الجمهورية والحرس الجمهوري .. بعد أن أراد رئيس الديوان حافظ إسماعيل تنظيم الديوان .. بحيث لا يتصل كبير الأمراء وقائد الحرس الجمهوري بالرئيس إلا عن طريقه .. وهو ما لم يرض الليثي .. وقَبِلَ السادات استقالته على الفور ..

عداء قديم

من ربطوا بين أشرف وتصفية الليثىذكروا أنه كان هناك عداء كبير ومستمر بين الاثنين .. وأن الليثى كان هو المسئول الأمنى الذى يفتش ويبحث وراء أشرف أثناء ممارسة كل منهما لعمله فى رئاسة الجمهورية .. فأراد أشرف الانتقام منه .. وقيل إنه كان يعرف بحكم عمله السابق كرئيس للحرس الجمهورى الكثير من أسرار أشرف ..

حكاية السندريلا

سعاد حسنى فنانة كانت .. وما زالت تحتل من ذاكرة الجميع ما لا يستطيع الزمن أن يمحوه .. وهى واحدة من الفنانات اللاتى تم استغلالهن بواسطة المخابرات المصرية فى الستينيات أيام رئاسة صلاح نصر للجهاز للقيام بأعمال مخابراتية .. وبناء عليه كانت تعرف الكثير من الأسرار التى لم يكن ينبغى أبداً أن تخرج للنور .. وفى خضم الحديث عن مذكراتها ونيتها فى بيعها مسجلةً بصوتها لإحدى القنوات الفضائية .. لقيت حتفها فجأة صباح يوم ٢٠ يونيو ٢٠٠١ .. وبالطريقة نفسها السقوط "أو الإسقاط" من الدور السادس .. عثر عليها جثة هامة أسفل نفس العمارة «ستورت تاور» التى كان يقيم وتوفى بها الليثى ناصف ..

مبررات انتحار السندريلا ..

قيل إن سعاد حسنى التى انضمت إلى تلك القائمة دخلت فى أزمة مع نفسها أمام المرأة فرفضت صورتها التى لم تكن تتخيل أنها من الممكن أن تصل إليها فى يوم من الأيام .. باختصار رفضت الاعتراف بواقعها الجديد ومتغيرات الزمن .. وتكالب على «السندريلا» المرض والغربة وضيق ذات اليد .. فمهد كل ذلك لها اتخاذ قرارها بالانتحار .. وفوجئنا بها جميعاً وقد سقطت من شرفة منزل صديقتها "منى

يسرى" التى كانت تقييم لديها كضيفة بعد خروجها من المستشفى، حيث كانت تعالج من آلام الظهر وحالة الاكتئاب التى تعانىها منذ عام ١٩٩٨ .. ورغم أنه لم يتم حتى الآن الكشف أوالتوصل إلى الأسباب الحقيقية لوفاة سعاد حسنى .. فإن هذه القضية صاحبها جدل وأحاديث تقول إن سعاد كانت على وشك كتابة مذكراتها .. وأنها كانت تنوي كشف الكثير من الأسرار، حيث كانت على علاقات وثيقة برجال كثيرين فى عهد الرئيس عبد الناصر .. وتعرف الكثير من أسرار الكبار.. وحكتها كلها فى تسجيلاتها الصوتية وقيل أن اسم أشرف مروان كان من بين تلك الأسماء.. فاتخذ قراره بتصفيتها هى الأخرى ..

الموت الغامض (سر) عاصمة الضباب!!

وجاء الدور على أشرف مروان ليكون ثالث ثلاثة من أهم الشخصيات المصرية المعاصرة، كل فى مجاله، لقوا حتفهم بنفس الطريقة .. السقوط .. أوالإسقاط من شرفة أحد المنازل .. فى ذات الدولة بريطانيا .. وفى نفس العاصمة لندن .. وفى حالتى "الليثى" و"سعاد" كانا فى نفس المكان أسفل برج ستىوارت المشؤوم.. وكانت كلمة السر دائماً فى حالات الموت الغامضة هي عزم المتوفى على كتابة مذكراته .. وهو أمر محير للغاية .. ويلقى بنا وسط ظلال معتمة من الإثارة والدهشة بلا حدود.. وكأننا نعيش حالة مشاهدة استثنائية من فصول مسرحية تراجيدية مستمرة .. فأشرف مروان الذى رحل ومعه العديد من الوثائق والمعلومات والأسرار التى كانت معرفتها بلا شك خطراً شديداً على الكثيرين، ما هو إلا فصل جديد من تلك المسرحية الغامضة .. ومجبرون نحن كمصريين وعرب على أن نتابع فصولها من وقت لآخر .. ليس لنا خيار حتى فى أن نذرف دموعنا وقتما نريد .. أو أن نضحك.. ونتفاعل مع الأحداث وفقاً لكيفية تواصلنا معها .. وعند إسدال الستار عقب كل فصل من فصولها ننظر فى أعين بعضنا البعض .. نتسائل جميعنا فى صوت واحد..

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

ونبرة يمتزج فيها الحزن بالألم : الدور على من ؟؟ .. وعلى من ستدور الدائرة ..
فها هو أشرف مروان ينضم لليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري إبان حكم الرئيس
السادات .. والفنانة سعاد حسني .. وعلى شفيق مدير مكتب عبد الحكيم عامر ..
ويحيى المشد .. وعبد الحكيم عامر .. وغيرهم^(١) ممن كان لا بد من القضاء
عليهم .. لأسباب بقدر ما تبقى في علم الغيب .. بقدر ما تخلق ساحةً للمنظرين
والمحللين للإدلاء بتفسيراتهم ..

وعلى شفيق .. !!

ومن الأسماء الشهيرة التي لقيت حتفها في لندن أيضاً .. ولكن عن طريق القتل
المباشر .. ولم يعرف أحد حتى الآن من الجاني ولا الدوافع الحقيقية وراء قتله ؟
العقيد "علي شفيق" الياور الخاص بالمشير عبد الحكيم عامر وكاتم أسرارهم .. وزوج
الفنانة "مها صبري" والتي تعرف عليها مصادفةً في حفل عيد ميلاد الفنان أحمد
رمزي، في ملهى الأوبرج بالهرم .. وكان على شفيق وقتها متزوجاً من سيدة أخرى
ولديه منه ولدان .. ولما بدأت تنتشر أنباء علاقته بها خيرٌ عبد الحكيم عامر بين
وظيفته واستمراره في علاقته بها .. فاختارها وتزوجها وضحى بالكثير من أجلها
كما ضحت هي أيضاً بالفن الذي كانت تعشقه بلا حدود .. وفي عام ١٩٧٧ تلقت
عرضاً كبيراً من فندق "الأمبريس" بلندن للفناء هناك .. وبعد إلحاح شديد
من جانبها وافق على شفيق خاصةً أنه كان قد بدأ يستقر هناك هو الآخر نظراً
لطبيعة عمله في تجارة السلاح .. وفي الصيف من نفس العام فاحت رائحة تعفن
شديدة من شقة على شفيق واستدعى الجيران الشرطة التي قامت بكسر الباب،
لتفاجأ بجثة الرجل في حالة تعفن شديد بعد أن مرَّ على مصرعه عشرة أيام كاملة

١- الأسماء الأخيرة توفيت في أماكن أخرى غير العاصمة البريطانية وإن اشتركت مع باقي الأسماء في
غموض مصرعها وما كانت تملكه من أسرار خطيرة ..

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

.. وجاءت تحريات الشرطة فيما بعد لتؤكد أن الرجل تم قتله عن طريق ضربه بآلة حادة على رأسه، كان قد قتل أثناء إقامة حفل صاحب بالعمارة وذلك حتى لا يسمع أحد صراخه ..

الرجل كان محلاً للكثير من الادعاءات والأقاويل .. وكان يحمل فى جعبته الكثير من الأسرار الخاصة والمتعلقة بفترة هامة من تاريخ مصر لحساسية موقعه وقربه من المشير عبد الحكيم عامر الذى كان من أهم رجالها .. وكان بجوار الجثة حقيقة بها مليون دولار قيل إنها كانت عمولته فى صفقة سلاح .. فى دلالة واضحة على أن من قتله لم يقتله بدافع المال وإنما كان له دوافعه الأهم .. وهى طريقة عصابات المافيا المشهورة فى التعامل مع من يخرج عن قواعدهم .. وأنه كان يتعامل معهم وخالف تلك القواعد ومرر صفقة أسلحة لإحدى الدول دون أن يخطرهم بها .. فقتلوه عقاباً له على ذلك .. كما تردد أيضاً أن المبلغ كان عربون اتفاق بينه وبين إحدى دور النشر العالمية كان قد اتفق معها على أن يكتب لها مذكراته .. وبين هذا وذاك بقيت الحقيقة مجهولة إلى الأبد.

ضحايا آخرون !!

عموماً انضم أشرف مروان برحيله بهذا الشكل الدراماتيكي إلى قائمة المصريين والعرب من ضحايا الموت الغامض فى عاصمة الضباب .. فهناك كتبت كلمة النهاية فى حياة الأديب العربى الشهير "عبدالرحمن منيف" الرجل الذى فضحت كتاباته الروائية ما يدور فى السجون العربية ببغداد والرياض وعمان وغيرها من جرائم .. وهناك اغتيل "ناجى العلى" رسام الكاريكاتير الفلسطينى الشهير الذى عرّى هو الآخر برسومه الشهيرة خذلان كل الأنظمة العربية وتفرق دمه بين منظمة التحرير الفلسطينية .. والموساد .. والبوليس البريطانى .. وهناك أيضاً مات "يوسف إدريس" .. و"نزار قبانى" .. وغيرهم .. وإن اختلفت أسباب وفاة كل منهم ما بين الوفاة الطبيعية للاسمين الأخيرين .. والموت الغامض والمجهول للأسماء الأولى ..

الفصل السادس

أسئلة بلا أجوبة !!

مات أشرف مروان .. وبقي ملف مصرعه مفتوحاً بكل احتمالاته .. أوراق الملف تحمل الكثير من علامات الاستفهام .. التى تشير بأصابع الاتهام إلى جهات مختلفة .. لكنها فى النهاية تحولت جميعها إلى أسئلة بلا أجوبة ..

سر الصورة .. !!

وكان أشرف مروان حتى اللحظات الأخيرة من حياته يحمل فى جيبه صورة فوتوغرافية تسجل لحظة مهمة جداً فى تاريخه .. وهى اللحظة التى منحه فيها الرئيس السادات وسام الجمهورية من الطبقة الأولى .. وعندما تفجر ملف اتهامه بالعمالة للموساد كان لا يرد علي من يطالبونه بالدفاع عن نفسه .. بل يكتفى فقط بإخراج الصورة من جيبه فى دلالة على أن الرئيس السادات لو كان يشك فيه ولو للحظة واحدة لما منحه هذا الوسام ..

لحظة السقوط .. !!

كان أحد أصدقاء أشرف مروان فى طريقه لزيارته عندما شاهده فى شرفة منزله وهو يتحدث فى الهاتف المحمول .. وبينما هو ينظر إليه فوجئ به يسقط بعد أن اختل توازنه .. وأكدت مصادر مقربة من أشرف مروان أنه كان يستعد للنزول من شقته لحضور اجتماع مع بعض رجال الأعمال .. وأنه توجه للشرفة ليشير لأحد منتظره أسفل العمارة قبل أن يسقط ..

وبسؤال خادمتها الخاصة التى كانت معه بالشقة لحظة وقوع الحادث قالت : -
إنه كان يجلس فى مكتبه بالمنزل ثم سمعت صوت جرس الباب وذهبت لفتح الباب
فوجدت عدداً من الأشخاص يخبرونها بأن الدكتور أشرف قد سقط من الشرفة ..

الليلة الأخيرة .. !!

وكان آخر من شاهد أشرف مروان حياً من أقاربه شقيقته عزة، التى باتت معه
الليلة الأخيرة بشقته هى وحفيدتها الطفلة الصغيرة .. وفى صباح اليوم التالى
تناولت معه طعام الإفطار ثم ودعته وأخذت معها حفيدتها لتذهب بها إلى إحدى
المستشفيات الخاصة خارج لندن، حيث كان مقرراً للطفلة أن تقوم بإجراء عملية
جراحية فى نفس اليوم .. بينما كان آخر من سمع صوته هم موظفو مكتبه بالقاهرة
ولندن .. حيث اتصل بمكتبه فى القاهرة قبل أن يلقي مصرعه بأقل من ساعة
كعادته كل يوم واطمأن على سير العمل بالمكتب .. وأبلغهم بتعليماته الجديدة .. ثم
تلقى اتصالات متكررة من مدير العلاقات العامة بمكتبه فى لندن يستعجله لحضور
اجتماع مجلس الإدارة الذى كان مقرراً انعقاده فى نفس اليوم .. وكان أشرف يرد
عليه فى كل اتصال بأنه قادم إليهم .. وفى الاتصال الأخير اعتذر أشرف لإصابته
بإرهاق شديد وطلب فض الاجتماع وتأجيله ..

من هو الزائر المجهول ؟!

بينما يقول أحد الشهود إن هناك رجل أعمال تمتنع جهات التحقيق البريطانية
عن ذكر اسمه حفاظاً على سرية التحقيقات، قد زاره فى منزله فى تمام الساعة
الحادية عشرة والنصف من صباح نفس اليوم، بعد أن غادرت شقيقته وحفيدتها
المنزل .. وكان هناك سيارة خاصة تنتظر أشرف مروان أمام منزله تحمل شئطه
الخاصة لتقله إلى المطار حيث كان مقرراً سفره فى نفس اليوم إلى نيويورك ..

لماذا لم يعد إلى مصر ؟؟

وقبل أن نتحدث عن ملابسات الوفاة يهمننا أن نعرف لماذا بقي أشرف مروان في لندن رغم تصريحه السابق للمقربين إليه بشعوره بوجود مخطط لاغتياله ؟؟ وهى نقطة غير مفهومة وغامضة .. وتحتاج إلى توضيح وإجابة .. فلماذا فضل البقاء هناك مع ادراكه أنه من السهل اغتياله فى أية لحظة ؟ .. لماذا لم يعد إلى مصر ؟ .. هل لم يكن يشعر بالاطمئنان علي حياته داخل وطنه ؟ .. أم أن ظروفه الصحية التى كانت تستدعى فى أيامه الأخيرة تركيب دعامات وتغيير ثلاثة صمامات بالقلب مرة واحدة .. هي التى حالت دون ذلك .. وكان أشرف يبرر أسباب عدم رغبته فى العودة لمصر بقوله:

(عندما تكون صاحب عزوة .. وسلطان فى مصر .. ثم تترك السلطة يتحول الجميع إلى أعداء بالنسبة لك .. لذا لم أعد أستطيع أن أحيا حياة عادية فى مصر ..)

لكن بعض المقربين منه يؤكدون أنه كان بالفعل ينوى العودة إلى مصر والإقامة النهائية بها .. خاصة بعد أن وصلته دعوة رسمية من الرئيس مبارك لحضور حفل زفاف ابنه جمال .. مع الاستقبال الذى وجده فى انتظاره من زوجته وأولاده وأحفاده والذى جعله يشعر بالحنين للجو الأسرى الذى عاش معظم حياته يفترقه .. خاصة عندما صدرت تعليمات عليا لإدارة مطار القاهرة الجوى بفتح قاعة كبار الزوار للرجل واستقباله بشكل خاص .. ويؤكد هؤلاء أنه بدأ بالفعل يستعد لذلك وأرسل بعض الحقائق إلى مصر بها بعض أوراقه وملفاته الخاصة ..

موت غير واضح الأسباب .. !!

على كل حال وبعد تحقيق مبدئى لم يستغرق أكثر من ثلاثة أيام - وهى سرعة غير مسبوقة فى مثل هذه القضايا - اختار البوليس البريطانى " اسكوتلاند يارد " وصف « موت غير واضح الأسباب » ليحمله عنواناً لملف مصرع أشرف مروان .. وأعلنت

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الشرطة البريطانية أنها تستبعد أية شبهة جنائية فى الحادث .. وأن الاحتمال الأقرب هو الانتحار .. وذلك قبل إحالة الملف إلى ما يعرف هناك باسم « القاضى الطبى » ، وهو الشخص المعنى هناك بالفصل فى مثل هذه القضايا .. وبعد أن تم فحص الجثة بواسطة أحد الأطباء الشرعيين بمستشفى " ويست مينستر " جاء التقرير الطبى المبدئى ليشرح الوفاة بأنها حدثت بسبب كسور متعددة بالجثة نتيجة السقوط من مكان عالٍ أدى أيضاً إلى انفجار فورى فى الشريان الأورطى بالقلب ..

ليست مفاجأة .. !!

فهل كان مصرعه بهذه الطريقة الدرامية مفاجأة؟

الحقيقة ليست كذلك حتى بالنسبة إليه هو شخصياً .. حيث أكد لبعض المقربين منه أنه معرض للتصفية فى أية لحظة .. وأنه يعيش آخر أيامه .. ففى تصريحات خاصة لـ جريدة « الشرق الأوسط » ذكر مصطفى رجب نائب رئيس اتحاد المصريين المغتربين أن مروان أخبر بعض المقربين منه بأنه « متخوف من أن يحدث له شيء » .. كما ذكر برجمان المؤرخ الإسرائيلى لصحيفة هاآرتس بعد مصرع مروان أنه قال له ذات مرة إنه يخشى على حياته من الاغتيال .. والمؤكد أن هناك شواهد قوية دفعته لهذا الشعور .. تمثل فى مجموعها سيناريوهات مختلفة لاحتمالات الوفاة .. نناقشها كلاً على حدة ..

الاحتمالات الثلاثة .. !!

الحادث ككل لن يخرج عن كونه واحداً من ثلاثة ::

١- الانتحار : .. وهذا لا يحتاج إلى شرح ..

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

٢- القتل : ويحتمل أكثر من طريقة .. مثل الإجهاز عليه أولاً ثم إسقاطه فيما بعد .. أو دفعه بقوة للسقوط من الشرفة .. حتى يبدو الأمر فى كلتا الحالتين انتحاراً .. وهذا الاحتمال رجحته فيما بعد مجلة " تايم " الأمريكية وإن كان بشكل مختلف حيث أكدت أن هناك أشخاصاً مجهولين استدرجوا أشرف ثم قتلوه وألقوا بجثته أسفل البناية التى كان يقيم بها ..

٣- القضاء والقدر : وآخر الاحتمالات أنه ربما يكون قد فقد وعيه أثناء وقوفه بالشرفة واختل توازنه فسقط ..

الاحتمال الأخير نستبعده مؤقتاً لعدم منطقيته .. ونتوقف عند الاحتمالين: الأول .. والثانى .. ويهمنى أن نعرف أولاً بعض الروابط الأساسية التى تفرق بين توصيف أى حادث بالانتحار .. أو بالقتل .. وذلك قبل أن نناقش هذه الاحتمالات ونتوقف قليلاً عند بعض الملاحظات الهامة ..

الفارق بين الانتحار والقتل .. !!

للتفرقة بين الاحتمالين يتم مقارنة طول المتوفى مع ارتفاع الشرفة التى سقط منها .. فكلما كان جسد المتوفى أقل طولاً من ارتفاع الشرفة كان احتمال الانتحار مستبعداً .. والعكس صحيح .. وهو ما يتوفر فى حالة أشرف مروان .. فبرغم قامته الطويلة فإن الشرفة كانت عاليةً بقدر كبير .. ويوجد عليها من الخارج أصيص زرع بعرض الشرفة يحول بينه وبين الوقوع بسهولة .. والشخص الواعى عندما يسقط من ارتفاع عالى فإنه يستخدم كلتا يديه أو إحدى قدميه ليستقبل بهما الأرض محاولاً أن يحمى رأسه بقدر الإمكان .. على عكس الشخص الفاقد لوعيه الذى غالباً ما يقع على وجهه .. وهنا يجب الإشارة إلى ما قالته منى زوجته فيما بعد بناءً على ما عرفته من بعض شهود الحادث حيث صرحت بأن أشرف كان ممدداً على ظهره .. وجهه لأعلى .. مرتدياً بالطوأسود .. هكذا وجدت جثته ملقاةً على أرضية الشارع .. فهل لهذا من تفسير يساعد فى حل هذه القضية؟

الفارق بين السقوط والإسقاط .. !!

الطب الشرعى وضع قواعد للتفريق بين الاحتمالين .. فالسقوط بكل احتمالاته المشار إليها سابقاً يعنى فى لغة رجال البحث الجنائى مزيجاً من الالتباس بين احتمالات الانتحار .. أو القتل العمد .. حيث تؤدى كل تلك الاحتمالات لأن تمتزج آثار الهجوم على جسد الضحية فى حالة إرغامه على الإسقاط مع آثار المقاومة التى يبدىها الضحية مهما بلغت درجة ضعفه الجسمانى .. وتأتى إصابات وآثار الارتطام الشديد بالأرض ليتداخل كل هذا بشكل ينتج عنه غموض الرؤية ويصعب الفصل فيه مع المعاينة الأولى للحادث ..

سوء الأحوال الجوية .. !!

ولكى تتضح جميع معالم الصورة بكافة ملابساتها المحيطة بالحادث يجب الإشارة إلى نقطة أخرى هامة جداً .. وهى أن درجة الحرارة يوم وفاة أشرف مروان كانت تتراوح بين (٩ و ١٠) درجات فقط .. وتخلل يوم الوفاة أسبوعاً عاصفاً وشديد المطر عاشت فيه العاصمة البريطانية موجة من سوء الأحوال الجوية راح ضحيتها ثلاثة ضحايا .. بحسب ما ذكرته وأشارت إليه الصحف ووكالات الأنباء وقتها ٩٩ .. فهل يتفق هذا مع وقوف رجل كهل مصاب بالعديد من الأمراض فى شرفة منزله ليتحدث تليفونياً ؟

أين شرائط المراقبة .. !!

ثم خطورة موقع منزله الذى يتوسط العديد من منازل الشخصيات الهامة والأسرة الحاكمة فى لندن، بما يعنى أنه مراقب أرضياً ومن خلال الأقمار الصناعية بكاميرات المراقبة التى تعمل (٢٤) ساعة فى حوارى وشوارع وميادين لندن الأقل أهمية من الحى

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الذى كان يعيش فيه مروان فى العاصمة البريطانية .. فأين الشرائط التى سجلتها الكاميرات الأرضية والأقمار الصناعية للمكان فى هذا التوقيت ؟. وأين شرائط كاميرات المراقبة التى كان يضعها فى العديد من أركان شقته وتسجل أولاً بأول كل ما يدور هناك ؟ أم أن أجهزة الأمن البريطانية تتحفظ عليها وتخفيها لأسباب تعلمها هى فقط ..

الباب الخلفى !!

اكتشف البوليس البريطانى عند معاينة العمارة التى كان يقيم بها .. وسقط أسفلها أن الباب الخلفى للبناء الذى يستخدم كباب للطوارئ فى حالة إندلاع حريق مكسور بفعل فاعل .. الباب الوحيد من بين الذى نادراً ما يستخدمه أحد و أحد خمسة أبواب أخرى .. لكنه يبقى دائماً مغلقاً توجد به إحدى كاميرات المراقبة تم تعطيلها يوم الوفاة ..

احتمال الانتحار .. !!

ونعود للاحتمال الذى أشارت إليه تحقيقات الإسكوتلاند يارد فى البداية وهو الانتحار ..

الثابت أن أشرف مروان كان حتى النهاية يمارس عمله بانتظام بما يتفق وما عرف عنه من انضباط شديد .. حتى وسط كل تلك الضغوط النفسية الرهيبة التى واجهها طوال الأعوام الماضية .. وتحوله بشكل عام إلى « شبح » وصورة باهتة من شخصيته القديمة كرد فعل لأمرين :-

الأول : شدة تأثره الإنسانى بما ينشر عنه وتروج له إسرائيل من أخبار وتقارير صحفية .. ونظرات الشك التى كان يلمحها فى عيون كل من يقابله .. مما ألقى به فى دوامة من الإكتئاب الشديد وجعله عصبياً .. شديد الانفعال والتوتر .. وشارد الذهن بشكل مستمر .. مؤثراً للصمت الذى التزم به تماماً حتى النهاية ..

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

الثانى : تدهور حالته الصحية نتيجة لقائمة الأمراض والعلل التى أنهكته وتكالبت عليه من كل اتجاه ومن بينها السرطان الذى كان يعانى منه منذ وقت طويل.. وكان لا يقوى على الوقوف والسير دون عكاز نظراً لإصابته بفيروس فى الركبة. فهل كان كل ذلك هو الذى دفعه فى لحظة يأس لينهى حياته بيده ؟.

بين الرفض والتأييد .. ١١

يقول أحد المقربين من أشرف مروان وأسرة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.. -وصفته مجلة « روزاليوسف » بأنه إحدى الشخصيات المرموقة وطلب عدم الإشارة لاسمه -.. إن الانتحار كان بمثابة تصرف متوقع من أشرف مروان .. فقد دخل فى دوامة من اليأس والإحباط .. ولم يشأ إشراك أحد فى معاناته، فابتعد عن الجميع بما فيهم المقربون منه منذ فترة .. وأصرَّ على الانكفاء على ذاته ..

وبرغم خطورة التصريح الذى ساقه الشخص السابق .. فإن الرجل لم يكشف عن أدلة قاطعة يؤكد بها كلامه فجميعها مجرد تخمينات .. ينفيها العديد من المقربين من أشرف مروان شخصياً الذين يعرفونه جيداً .. ومنهم "مصطفى رجب" نائب رئيس اتحاد المصريين المغتربين فى لندن الذى يستبعد هذا الاحتمال تماماً، لطبيعة معرفته الشخصية بأشرف من قرب وكيف أنه كان محباً حقيقياً للحياة .. مشيراً إلى أن هناك شكوكاً مؤكدة بين أفراد الجالية المصرية فى بريطانيا من أنه «تم اغتياله».. كذلك زوجته منى التى ترفض تماماً مجرد مناقشة هذا الاحتمال، وتقول: "أشرف لا ينتحر أبداً .. فهو إنسان قوى وليس ضعيفاً .. كان ينوى أن يصحبنى معه فى رحلة الحج هذا العام" .. وتصفه بأنه كان إنساناً مؤمناً .. يصلى فروض ربه .. ويحج .. ويعرف دينه جيداً .. صابر صبر الجبال على ما لاقاه فى حياته من صعاب لا تعد ولا تحصى ..

حكاية أجهزة التنفس .. !!

والبعض قد يستخدم القصة التالية للاستدلال على نية أشرف مروان على الانتحار .. ففى نهاية اليوم السابق على مصرعه أنهى أشرف مروان بنفسه تغليف جهازين منزليين كان يستخدمهما للتنفس الصناعى، بعد أن تعرض منذ عدة سنوات للإصابة بجلطة فى المخ نتج عنها إصابته بمرض يعرف طبياً باسم "سليب إبنيا" يمنعه من القدرة على التنفس أثناء النوم .. الجهازان باهظا الثمن .. وكان يعنى الاستغناء عن أحدهما ولو لليلة واحدة أن يموت مروان .. وقرر التبرع بهما لبعض المرضى المصريين ممن أصيبوا بمثل مرضه وقد لا يستطيعون تدبير ثمن مثل هذا الجهاز .. فيصبحون على مشارف الموت نياماً .. وضع الجهاز الأول فى حقيبة سوداء وبجانبه قناع التنفس الخاص به .. وبنفس الطريقة أنهى وضع الجهاز الثانى فى حقيبة مماثلة .. فهل يعنى ذلك أنه كان ينوى الانتحار؟ ..

الذى يقطع الشك باليقين فى هذا الاحتمال هو أن مروان كان قد توافر لديه جهاز أحدث يقوم بنفس الغرض .. ومن ثم لم يعد بحاجة إلى الجهازين السابقين .. وتؤكد روايات أخرى أنه قد تبرع بأجهزة مماثلة من قبل .. حيث يقول الدكتور سميح عامر أستاذ القلب المعروف بكلية طب قصر العيني والمستشار الطبى المصرى فى لندن .. إن أشرف مروان اتصل به وأخبره بأنه سوف يرسل له الجهازين مع السائق ليعطيهم بمعرفته لأى مريض يحتاج إليهما فى مصر .. وهو ما حدث بالفعل بعدها بوقت قصير ..

إغتيال بطريقه شيطانية !!

لكن فيما يتعلق بقصة هذين الجهازين تحديداً نتوقف عند ما صرّح به جمال مروان لجريدة صوت الأمة القاهرية فيما بعد .. حيث ذكر ما يبعث بحق على الحيرة وقال إن السبب الرئيسى لتغيير تلك الأجهزة إكتشاف والده أنها قد تم التلاعب فى برمجة الكمبيوتر الخاص بها عن عمد .. وبدلاً من أن تعمل على ضخ الإكسجين .. تقوم

ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

بسحبه عكسياً.. وقد تنبه أشرف مروان لذلك عندما بدأ الجميع يلاحظون أنه وصل لدرجة هزال شديد استدعت دخوله إحدى المستشفيات الخاصة فى لندن لمدة ثلاث أيام أجرى خلالها كافة التحليلات الطبية المطلوبة دون التوصل للسبب.. مما اضطره إلى السفر إلى الولايات المتحدة حيث عرض نفسه على واحد من أشهر الأطباء هناك الذى اكتشف أن نسبة الإكسجين الموجودة بالجسم أقل من مستواها العادى لدى الإنسان الطبيعى.. وبفحص أحد الجهازين اكتشف المهندس المختص أنه تم التلاعب ببرمجته بحيث يعمل الجهاز عكسياً.. وبفحص الجهاز الثانى المماثل تبين وجود نفس العيب.. مما يؤكد استحالة أن يكون العطل الذى أصاب الجهازين فى وقت واحد من قبيل المصادفة وإنما عن عمد.. لكن المفاجأة التى أكدت أن وراء ذلك تدير شيطانى من جهة ما.. أن الجهاز المماثل الذى يحتفظ به أشرف فى شقته بمصر لنفس الغرض وُجِدَ به نفس العطل.. وكل هذا لا يحتمل إلا شىء واحد وهو أن من حاول قتله سعى لذلك بطريقة تكنولوجية حديثة جداً لا تخطر على بال الشيطان نفسه.

كيف انتحروا ؟ .. !!

يقول بعض الشهود إنهم رأوه فى لحظاته الأخيرة وهو يروح ويجئ فى الشرفة متحدثاً فى تليفونه المحمول ثم فجأة ألقى بنفسه من الشرفة !! .. وتحديداً قائل هذه الشهادة هو " عصام شوقي " زوج سكرتيته الخاصة الذى كان لأشرف موقف ما منه سنتحدث عنه فى حينه ..

شهادة مرفوضة .. !!

لكن كيف نستطيع أن نقبل هذه الشهادة وأشرف مروان كانت حركته الجسدية أواخر أيامه محدودة جداً ؟.. فلم يكن يستطيع الحركة بسهولة وكان يعتمد على

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

عكاز لا يفارق يده ٩٠٠ فكيف يتحرك بهذا الشكل ٩٠٠ ومن أين له بالقوة المناسبة ليتخطى الحاجز الحديدي أعلى الشرفة ثم يقفز من أعلاها ٩٠٠ ..

الانتحار مرفوض .. !!

ثم لماذا اختار تلك الطريقة بالذات للانتحار .. ولماذا لم ينتحر مثلاً بإطلاق الرصاص على نفسه من مسدسه الخاص الذي لم يكن يفارقه .. أو بتناوله جرعة دواء زائدة من عشرات الأدوية التي يتناولها باستمرار ..

وبالذهاب إلى قواعد وأسس علم النفس الجنائي نجده يتحدث عن الانتحار قفزاً من مكان عال، واصفاً إياه بأنه أداة انتحار لحظية يلجأ إليها الإنسان عند تعرضه لضغوط من موقف ما لا يستطيع مواجهته، فيقرر التخلص من حياته لحظياً كرد فعل مباشر للموقف الذي لا يستطيع مواجهته .. فما هو الموقف الذي تعرض له مروان وجعله يبادر بإلقاء نفسه من الطابق الخامس بالكيفية المشار إليها ٩٩ وهو الذي كان يتحدث في تليفونه المحمول بشكل طبيعي لحظة انتحاره مثلما يقول شهود الحادث ..

إذن هذا الاحتمال مستبعد تماماً نظراً لطبيعة أشرف مروان الخاصة والتي أكدها كل المقربين منه، ولو كان حدث فمن المؤكد أنه كان سوف يترك وراءه دليلاً ما على ذلك .. مثل رسالة لزوجته وأبنائه .. أو للرأي العام يوضح فيها ما عانى طويلاً من كتمانها .. ثم كيف ينتحر رجل وُجد في جيب سترته التي كان يرتديها عند وفاته بعض الأدعية والآيات القرآنية وسبحة لم تكن تفارق يده ٩٩٩

هل قتلته عصابات المافيا ؟؟ .. !!

السيناريو الثانى يخرج من عالم تجارة السلاح وقوانينه التى لا ترحم وهو العالم الذى تحكمه عصابات المافيا .. تبلغ خطورة تلك التجارة المحرمة أن هناك دولاً وجماعات متمردة تتعامل مع سماسرة غير معلنين .. وتتوق لاقتناء أسلحة جديدة ومتطورة .. وغالبية تلك الدول والجماعات إما ممنوع عليها اقتناء أنواع معينة من السلاح .. أو محظور عليها الحصول على الأسلحة أصلاً .. وباختصار فإن ذلك العالم لايعترف بالخطأ فالغلطة الأولى فيه هى الغلطة الأخيرة .. وكان الرجل بحسب ما يشاع حوله على علاقة بالكثير من أساطين وجبابرة ذلك العالم .. ضليع فى خفاياه .. بحسب ما ذكره وأكدّه العديد من الصحف والكتب العالمية التى حررها كبار الصحفيين والكتاب العالميين .. مثل سيمون ريجان الذى أشرنا إليه وإلى كتابه من قبل وكان أحد أهم الصحفيين المقربين للأسرة المالكة البريطانية .. حيث يشير لأهمية خاصة لوضعية أشرف مروان وسط مافيا تجارة السلاح خاصة فى منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا .. فهل كان مصرعه نتيجة لخلافاته وخصوماته الشخصية مع البعض من هؤلاء ؟! فالرجل كان همزة الوصل بين بعض الحكومات وتجار سلاح وأجهزة مخابرات مختلفة .. وكان بعضهم على الأقل يرى أن أشرف مروان -الذى كان يبدو وكأنه جهاز مخابرات يعمل فقط لحسابه الخاص و يريد أن يظل ممسكاً منفرداً بأطراف الحقيقة إلى النهاية- هو بلا شك خطر يهددهم .. خاصةً مع ما يحتفظ به من تفاصيل خطيرة عن أعمال جرت فى منطقة الشرق الأوسط وأوروبا وإفريقيا .. وبما يملكه من أسرار ضخمة منذ عهد الرئيس جمال عبد الناصر إلى الرئيس الحالي حسني مبارك .. مروراً بالرئيس السادات .. وهو يعرف متى يستخدم ما لديه من معلومات .. مما جعله بالنسبة لهم خطراً داهماً يجب القضاء عليه .. وهو احتمال يبقى قائماً .. وإن كان فى احتياج إلى شواهد وقرائن تؤكده أو تنفيه .. فعصابات المافيا وتجار السلاح لها سوابقها الشهيرة والمشبهة فى مثل هذه الاغتيالات ..

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

من يستطيع النفى أو التأكيد ؟ !!

لكن من يملك أن يؤكد أنه كانت هناك علاقة ما بين مروان وأساطين ذلك العالم الخفى تصل لحد قتله .. حتى وإن تعامل الجميع مع هذا الفرض باعتباره أمراً واقعاً لا يحتمل الشك .. ومن بين العديد من الشائعات التى ورد فيها ذكر اسم أشرف مروان .. وكانت تتعلق بصفقات السلاح .. خاصة صفقة دولية كبيرة أثارت موجات متعاقبة من الجدل وكان مردودها كبيراً على الصعيد الدولى .. ونجحت أطراف لها مصالح فى وقف التحقيقات الدائرة حول هذه الصفقة فى بريطانيا بتدخل مباشر من رئيس الوزراء الإنجليزى السابق "توني بلير" ..

رجل فوق العادة !!

ويقول "سيمون" فى كتابه إن ما انتهى إليه من تحقيقات كشف له أن "مروان" كان رجلاً فوق العادة .. وغامضاً .. وعليه الكثير من الملاحظات فيما يتعلق بأنشطته الاقتصادية .. خاصة الوساطة فى العديد من صفقات السلاح المشابهة .. والتحالف مع شخصيات بالغة الأهمية من دول وأقطار عربية وغير عربية - والذين ما زال بعضهم فى السلطة فى بلاده - لتنفيذ أعمال شديدة السرية ومحكمة التنفيذ لتصفية بعض العرب والمصريين والأجانب ممن كانوا يتصارعون معهم ما بين لندن وباريس وواشنطن للحصول على صفقات سلاح وتوريدها إلى عدة بلدان وجماعات .. وأنه كان يقوم بذلك مع آخرين بأعصاب باردة هو وحلفاؤه باحتراف عال المستوى .. فلا يتركون وراءهم أية آثار من الممكن أن تقود إليهم .. فمن أين جاء ريجان بهذه المعلومات الخطيرة .. لم يقل مصدرها هو .. ولا أحد يعرف !!

"غموض مروان" .. !!

ويشير سيمون ريجان فى الفصل الذى أفردته فى كتابه تحت اسم "غموض مروان" .. إلى أن عدداً من أولئك التجار كانوا يلتفون حول الحظر الأمريكى على

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

توريد السلاح المفروض علي بلدان وجماعات فى منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا .. وأنهم استخدموا اثنين من عملاء المخابرات الأمريكية للتغطية علي عمليات نقل السلاح بشكل غير قانوني بما يخدم الإرهاب .. ما أدى إلي إدانة القضاء الأمريكي للعميلين .. والحكم عليهما بالسجن .. فى قضية يقول الكاتب إن "مروان" كان على صلة بها وأنه قد صدر بحقه أمر توقيف من قبل الولايات المتحدة الأمريكية .. ولا يمكن له أن يدخل تلك البلاد .. لا هو ولا صاحبه مبعوث الحاكم العربي المشار إليه ..

هل قتله الموساد ؟؟ .. !!

السيناريو الثانى هو الأكثر قبولاً بين المتابعين لملف الرجل، نبدؤه بالإشارة لمصادفة غريبة يشير اليها عادل حمودة فى متابعته للقضية .. فقد ذكر حمودة أنه فى نفس الشهر الذي لقي فيه أشرف مروان مصرعه وقبل أن يلقي حتفه بأيام قلائل نشرت مجلة "أنتيلجنس" -التي تعنى بالعربية "المخابرات"، وهى مجلة ربع سنوية لها موقع خاص على الإنترنت والمتخصصة فى متابعة الملفات المخبرانية- مقالاً لكاتب إسرائيلي يوصف بأنه أهم زعيم يهودي فى العالم يدعى "مالكوم هونلين" يشغل منصب نائب رئيس اتحاد المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة الذي يضم ٥٢ منظمة يهودية نشطة .. ويحمل شهادة عليا متخصصة فى الأمن القومي من معهد الشرق الأوسط التابع لنفس الجامعة .. وكرمه إسرائيل كثيراً لجهوده غير العادية فى مساندتها وتبنى قضايها .. وهو يتمتع بعلاقات قوية مع العديد من أجهزة المخابرات فى العالم .. فى مقدمتها بالطبع الموساد و(C.I.A) والمخابرات البريطانية مما منحه فرصة هائلة لكشف ما يصعب علي غيره التوصل إليه من أسرار يستحيل الاقتراب منها .. المقال يحمل عنوان "لغز مروان" تعرض فيه "هونلين" لشخص أشرف مروان .. وعرض فيه القصة كاملة بما يتفق ووجهة

النظر الإسرائيلية بالطبع .. فهل كان ذلك التوقيت مجرد صدفة ؟ .. أم كان تمهيداً للتخلص من أشرف مروان ؟ .. سؤال هام قد يؤكد الاتهام الذى يروج له الجميع ..

لماذا الآن ؟؟ .. !!

ولكن هناك سؤال مهم .. لماذا تفتاله إسرائيل الآن ؟ .. ولم تسع لذلك عقب انتهاء حرب أكتوبر .. وهذا الطرح قد يؤكد اتهام الموساد، ومن الممكن أن ينفية بدعوى أنهم لو كانوا يريدون اغتياله وتصفيته لسعوا إلى ذلك منذ زمن طويل وبمجرد تأكدهم من حقيقة الدور الذى لعبه ضدهم .. ويمكن الرد على هذا بأنهم لم تواتهم الفرصة فى حينها لفعل ذلك .. أو أنهم أرادوا حرقه وتصفيته معنوياً أولاً ثم تصفيته نهائياً فيما بعد، وإلقاء شبهة القتل على المخابرات المصرية التى تخيلوا أنها ستلهث وراء الرجل فور ترويجهم لقصتهم المزعومة لتصفيته عقاباً له على خيانتة لوطنه، وحتى تدفن معه حقائق وأسرار لا تريد الكشف عنها ..

الاحتمال المرفوض !!

وهو الاحتمال الذى أشارت إليه بعض الصحف الإسرائيلية عقب مصرع أشرف .. والذى يشير بأصابع الاتهام للمخابرات المصرية بحجة أنهم اكتشفوا عمالته للموساد فقرروا عقابه بقتله بهذه الصورة .. ونرد على هذا الاحتمال بأن سياسة المخابرات المصرية لم تعرف طيلة تاريخها مبدأ تصفية الخونة بغرض أنه كان كذلك .. وإنما تترك الأمر للقضاء المصرى بعد إلقاء القبض على من يثبت عليه التجسس لصالح أية جهة أجنبية والأمثلة على ذلك كثيرة .. كما تأتى شهادة اللواء صلاح الدين المحرزى وكيل جهاز المخابرات العامة الأسبق فى تصريحات خاصة لجريدة «المصرى اليوم»، عقب دفن أشرف مروان لتتنفى ذلك الاحتمال من

جانب المخابرات المصرية.. حيث ذكر المحرزي أن أشرف مروان كان ضابطاً في المخابرات المصرية.. وليس مجرد عميل لها.. أو ضدها.. كما يردد البعض.. وأنه الذى عرض على السادات فكرة تطوير التعامل مع المعلومات.. وأسس سكرتارية للعلاقات الخاصة سماها «سكرتارية الاتصالات الخارجية» ونجح فى ذلك ببراعة.. مما جعل السادات يصدر قراراً يعطي أشرف مروان الحق فى الاتصال بكل رؤساء وأجهزة المخابرات فى العالم، وتلقف مروان هذا القرار وفتح مكاتب للعلاقات العامة فى كل الدول..

سر الخادمة .. !!

وتردد احتمال آخر بخصوص الموساد يدور حول علاقة غامضة لخادمتة بلغارية الأصل التى عاشت تخدمه أكثر من عشرين عاماً، وأنه وصلتته معلومات من مصدرٍ ما أنها تستقبل فى بيته أثناء غيابيه شخصاً تجمعها به علاقة خاصة.. وذكرت بعض المصادر أن هذا الشخص ربما يكون له علاقة ما بجهاز المخابرات الإسرائيلية.. وأنه ربما استغل علاقته بالخادمة فى الدخول إلى المنزل هو وآخرون وقاموا بإلقاء أشرف مروان من شرفة المنزل.. وردد البعض أنه ربما تم تجنيد هذه الخادمة لتدس لأشرف نوعاً ما من السم البطئ الذى يطلق عليه "السم البيضاوى"، الذى أعلن الموساد من قبل من خلال القناة الثانية بالتلفزيون الإسرائيلى عن توصله لتركيبه خاصة به تجعل من يتناول هذا السم يصاب بدوار عند نظره من الأماكن العالية ويغشى عليه فيسقط.. وأن هذه التركيبة الخاصة لا تترك أثراً فى جسد القتل ولا فى التحاليل الطبية المعتادة والتى يقوم بها الشخص العادى من وقت لآخر.. ويتم دسها فى المشروب الذى يتناوله الضحية كل عشرين يوماً.. ومما يعزز احتمال تورط الخادمة فى مصرع أشرف أنه كان قد بدأ يتشكك فيها وأمر بإنهاء عملها معه، وإرسالها للعمل بقصره فى أسبانيا، وأرسل بالفعل حاجياتها الخاصة إلى هناك تمهيداً لتسفيرها بعد أن رفضت زوجته منى عبد الناصر شكوكه فيها وأصررت على بقائها فى خدمتها..

أو ربما يكون قد تناول السم فى لوبى نادى السيارات الذى إعتاد الذهاب إليه يومياً سيراً على الأقدام ليتناول هناك مشروبه المفضل "الإكسبريسو" ..

شكوك أخرى .. !!

كما أن شكوك أشرف مروان فيمن حوله كانت قد زادت فى الشهور الأخيرة من حياته بشكل غريب ، فقد أنهى خدمة سكرتيرته الخاصة "عزة فوزى عبد الحافظ" ابنة السكرتير الخاص للرئيس السادات ، والتي عملت فى خدمته لأكثر من عشرين عاماً منذ أن ترك العمل بالهيئة العربية للتصنيع ، وكان يثق فيها -هى وزوجها "عصام شوقى" أول شهود الحادث الذى أشرنا له من قبل .. و كان يعمل أيضاً معه ويشاركه بنسبة بسيطة فى أحد مصانع البوية التى يملكها فى إيطاليا- ثقة مطلقة .. لكنه فجأة استغنى عن خدماتهما معه ومنحهما مكافأة مجزية .. ربما حرصاً على أن يكتم الاثنان ما بحوزتهما من أسرار خاصة به .. وكان قد سبق قراره بالاستغناء عن عزة وزوجها قرار آخر بالاستغناء عن صديق كان .. ومحل ثقته المطلقة على مدار عمره وهو شخص يدعى "حسام رشدى" ، كان جاره فى منزل والده الواقع بشارع الحكماء بمنطقة مصر الجديدة .. وكان يعمل ضابط شرطة عندما استغل أشرف علاقته بالسادات وتم نقله إلى شرطة رئاسة الجمهورية .. وعندما انتقل أشرف للعمل بالهيئة العربية للتصنيع اصطحبه معه مديراً لمكتبه .. ثم قدم استقالته بعد أن تركها أشرف وتفرغ للعمل معه .. وفى الشهور الأخيرة بدأ يشك فى أن رشدى يسرب أخباره إلى بعض أعدائه فى مصر فأنهى خدماته .. ثم ما لبث أن شك فى وجود اتصالات بين عزة وحسام فأنهى خدماتها هى الأخرى .. وتبعها زوجها .. وعزز شك مروان فى حسام أن الأخير بمجرد تركه للعمل معه ، أسند إليه على الفور منصب مرموق بوزارة السياحة المصرية .. بالرغم من أن عمره كان قد تجاوز الستين ..

تعطل كاميرات المراقبة ..

كاميرات المراقبة سواء بالعمارة التى وقع بها الحادث .. أو بنادى السيارات القريب من المكان .. تم تعطيلها جميعها فى توقيت وقوع الحادث .. فعند تفريغ شرائط المراقبة عقب وقوع الحادث كانت الصورة سوداء تماماً فى نفس التوقيت .. فماذا يعنى هذا ؟ لا يعنى سوى احتمال واحد وهو أن الحادث كان مدبراً .. ولم يكن بمحض الصدفة سواء كان انتحاراً .. أم قضاء وقدر ..

شاهد عيان ..

ذكرت صحيفة التايمز البريطانية بإسناد إلى أحد مصادرها السرية الخاصة فى "الاسكوتلانديارد" البريطانية .. أن أحد شهود العيان-وهو يسكن فى شقة مقابلة لشقة "مروان"- شاهد شخصين يرتديان ملابس رسمية يقفان بجوار أشرف فى الشرفة، وأنهما قاما بدفعه ليسقط فى حديقة المنزل .. ذكر الشاهد أن ملامح الشخصين تشبه ملامح مواطنى البحر المتوسط .. وأنهما وقفوا ينظران للرجل أثناء سقوطه من الشرفة بكل هدوء قبل أن ينصرفا من مكانهما ..

إختفاء الحذاء ..

ذكرتها الصحيفة أيضاً فى تقريرها أخطرها أن الجثة حين العثور عليها كانت ملقاه فى مكان يبعد مسافة لا تقل عن عشرة أمتار عن المكان الذى من المفروض سقوطها فيه أسفل الشرفة فى حالة الإنتحار ثم اختفاء الحذاء الطبى الذى كان يلبسه أشرف لحظة العثور على جثته .. وهذه الجزئية تحديداً تطرح أخطر معطيات الملف .. لماذا ؟ .. لأنه لو سلمنا باحتمال إنتحاره ففى هذه الحالة سوف يكون قد اضطر لتسلق الشرفة .. والمروور بحذائه على أصيص الزرع الذى يتوازى مع الشرفة

.. ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

بالعرض .. ثم يقف على جهاز التكييف ليتمكن فى النهاية من استقبال الشارع ثم القفز لأسفل .. وهذا يعنى أنه لابد أن يعلق بالحداء بعض من الطين الموجود بأصيص الزرع .. وينطبع حذاؤه على جهاز التكييف ، وهو ما يؤكد أنه أو ينفىه معاينة حذائه الذى هو أهم أدلة القضية .. لكنه اختفى من قدميه بعد أن تم رفع الجثة من موقع الحادث لنقلها إلى مشرحة مستشفى "ويست منيستر" .. وأغلب الظن أنه قد تم نزعها من قدمى الجثة داخل المشرحة .. كما أن "جمال مروان" يقول أنه عند معاينته لجثة والده فى المشرحة كانت تبدو فى حالة غير طبيعية على الإطلاق حيث كان هناك دماءً كثرةً على رأسه .. وظهره .. وجرح ظاهر ومفتوح فى جبهته من الناحية اليمنى.

والمفاجأة الأكبر ..

وهى بحق قمة المفاجآت فى هذا الملف .. ولعلها تحمل كلمة الفصل فى تقييم كل الاحتمالات السابقة .. ذكرها عادل حمودة فى مقاله بجريدة الفجر (عدد ١٠ سبتمبر ٢٠٠٧) .. وهى اكتشاف أشرف مروان لمحاولة اغتياله قبل أن يلقى مصرعه بالفعل بشهر واحد .. وذلك عن طريق بخاخة أكسجين كان يستخدمها للتنفس ليلاً .. واكتشف أشرف أنها كانت مليئة بغاز سام^(١) ..

١- على الرغم من خطورة تلك المعلومة ومدلولها فى سير القضية إلا أن مصدرها الوحيد كان مقال عادل حمودة المشار إليه ..

بين عصام شوقي .. والشاهد المجرى تاهت الحقيقة !!

نصوص القانون تقول: إذا تضاربت أقوال الشهود.. يفسر ذلك لصالح المتهم " وفى قضية مثل قضية أشرف مروان... لا يوجد فيها متهم مباشر وواضح يقف أمام الجميع من خلف قفص الاتهام... يبقى تضارب أقوال الشهود.. يفسر لصالح الحقيقة التى تقبع مكبلة ناكسة الرأس خلف قضبان قفص الاتهام.

المقصود أن الحقيقة فى هذا الملف أصبحت هى المتهم الأول.. لماذا ؟

لأنها مثل الزئبق.. لا يستطيع أحد أن يمسك بها.. ضعيفة.. لا تستطيع أن تواجه هيئة المحكمة التى يرأسها العقل.. وعضو اليمين فيها هو المنطق.. وعضو اليسار هو، نور الشمس الذى يبذل كل ظلام.

الحقيقة جبانة.. لا تستطيع مواجهة هيئة محكمة مثل تلك.. خرساء... لا تستطيع أن تصرخ لتشير إلى من قتلوا الرجل.. ويريدون أن يخدعونا بسيناريو اسمه (الانتحار).

لكن أسرة أشرف مروان قررت الخروج من بين صفوف المتفرجين فى قاعة المحكمة.. لتبحث بنفسها عن مفتاح يفتحون به قفص الاتهام... ويخرجون منه الحقيقة.. ويقذفوا بداخله المتهم الفعلى فى هذه الجريمة بعد أن تيقنوا أن البوليس الإنجليزى يتعامل بطريقة روتينية يشوبها الكثير من الإهمال مع ملف القضية وكأنهم يريدون أن يدفعوا بها فى هذا الطريق الساذج حيث (الانتحار)... هو الاختيار الأسهل والأمثل لمثل هذه القضايا.

فاستأجرت الأسرة ٤ مكاتب دولية متخصصة فى هذه النوعية من التحقيقات وتوصلت هذه المكاتب لكشف ملابسات جديدة متعلقة بالحادث سلمت نسخة منها للبولس الإنجليزى... ونسخة مماثلة للسلطات المصرية المختصة... هذه الملابس يمكن حصرها فى العناصر الآتية:

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

١ - مكالمة تليفونية خاصة من المكتب الذى استأجره شاهد القضية الأول (عصام شوقى) .. أجراها الشاهد بنفسه: لجهة إسرائيلية داخل تل أبيب.. قبل ٢٤ ساعة فقط من مصرع أشرف مروان.

٢ - بالبحث والتحرى نتأكد من عدم وجود أية علاقة سابقة بين عصام شوقى الذى كان يعمل مديراً لمصنع "بوى كوم" للكيماويات الذى كان يملكه أشرف مروان... وأية جهة إسرائيلية من قبل...

٣ - أصدر أشرف مروان قراراً باستبعاد عصام من منصبه الإدارى فى مصنع الكيماويات بعد اكتشافه عدة مخالفات مالية داخل المصنع وصلت إلى حد الاختلاس... فيقرر عدم التوقيع على ميزانية المصنع لعام ٢٠٠٦ وفصل عصام شوقى من المصنع هو وزوجته عزة فوزى عبد الحافظ التى كانت الذراع الأيمن لأشرف على مدار ثلاثين عاماً وكانت توصف بأنها بئر أسرار أشرف مروان.

٤ - اتصل عصام بأشرف وعرض عليه مناقشة عرض تقدّم به ثلاثة مستثمرين لشراء مصنع الكيماويات.. وأخبره أنه قد استأجر مكتباً للاجتماعات فى المبنى المقابل بسكنه ليسهل مقابلة أشرف... بهؤلاء المستثمرين فى حضوره لبحث ترتيبات الصفقة... وتم الاتفاق وتحديد موعد الاجتماع فى الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم الذى حدثت فيه الوفاة... وكشفت تلك التحقيقات الخاصة أن عصام كان قد استأجر المكتب رقم (٣١٣) والذى أجرى منه المكالمة المجهولة لعقد الاجتماع فيه.. إلا أنه عاد وطلب استثمار المكتب رقم (٣٠٣) المواجه تماماً لشقة أشرف مروان... فى حين كان المكتب الأول يقع خلف البناية... بما يمكنه فيما بعد من مشاهدة أشرف مروان أثناء سقوطه من شرفة منزله.. وليتحول بذلك إلى شاهد الإثبات الوحيد لأحرج لحظات بالنسبة لأشرف مروان... وهى لحظات وكيفية سقوطه... وما قبل سقوطه مباشرة من شرفة شقته...

٥ - أغرب ما تناولته أوراق تلك التحقيقات هو تبرير عصام شوقي لتغييره مكان الاجتماع من المكتب رقم (٢١٢) إلى المكتب رقم (٢٠٣) حيث علل ذلك بأن المكتب الأول كانت مساحته صغيرة لا تصلح لعقد الاجتماع.... وبانتقال المحققين لمعينة المكتبين على الطبيعة تبين العكس تماماً... حيث ثبت أن المكان الأول أكثر اتساعاً بشكل كبير عن المكتب الثانى.

الهدف هو الحقيقة

ولأن هدفنا من سرد الملاحظات السابقة هو الوصول للحقيقة... والوقوف عليها... وليس القاء التهم جزافاً على الآخرين... سنتجاوز ما تشير وتُلج إليه تلك الملاحظات حول موقف عصام شوقي شاهد القضية الأول وما يحيط بشهادته من ظلال الشك... لنقول إن عصام شوقي وإن كان فى رأى البوليس البريطانى هو أهم شهود الحادث... إلا أن هناك شاهداً أهم... لا تربطه علاقة مباشرة بأشرف مروان... وليس له صالح فى أن تسير القضية وفق سيناريو ما يخدم مصالحه... فمن هو هذا الشاهد الذى أشرنا إليه من قبل بدون ذكر لاسمه.. وذكرنا أن البولس البريطانى يتكتم شخصيته.. بعد أن أولى بشهادة خطيرة مفادها رؤيته لشخصين فى شرفة أشرف يشته فى أن لهما دوراً ما فى عملية إسقاطه... وقبل أن نتحدث عن هذا الشاهد.. الذى كشف عن اسمه مؤخراً فقط من خلال التحريات التى قامت بها مكاتب التحقيق الخاصة التى كلفتها أسرة أشرف مروان متابعة التحقيق نقول إن كل هذه المستجدات فى الملف الغامض كانت من الممكن أن تبقى للأبد طوى الكتمان... لا يعلم عنها أحد شيئاً... حتى ظهر على سطح الأحداث ذلك الذى شاهد كل شيء عن قرب... بل وكان واحداً من تلك المجموعة التى كانت تجلس فى انتظار مقدم أشرف مروان... والاجتماع به.

هذا الشاهد يدعى "جوزيف ريباس" وهو مجرى الجنسية ومن أُلغاز القضية التى تثير العديد من علامات الاستفهام هو حرص الشرطة البريطانية (الإسكوتلنديارد)

على عدم الإفصاح عن شخصه... والتكتم التام على اسمه رغم تطوعه منذ اللحظة الأولى للإدلاء بأقواله فى القضية... وإملاء اسمه... وعمله.. وكافة بياناته الشخصية على رجال الأمن الذين تواجدوا بموقع الحادث بعد وقوعه مباشرة... وحتى قبل رفع الجثة من مكانها.... والأغرب أنهم لم يستدعوا الشاهد للإدلاء بأقواله إلا بعد خمسة أسابيع كاملة من وقوع الحادث.... ثم رفضوا إعطاءه صورة ضوئية من محضر أقواله فى التحقيقات... وهو حق قانونى لكل شاهد.. أو حتى متهم... يعطيه القانون الإنجليزى للجميع بلا استثناء... سواءً أكانوا مواطنين إنجليز... أم رعايا أجنب...

ولولا لجوء أسرة أشرف مروان لمكاتب التحقيق الخاصة لما تم الكشف عن شخصيته... ولسارت القضية حسبما تريد لها جهات التحقيق البريطانية وهى انتحار أشرف... وهو ما يحمل فى طياته دلالات لا يمكن تجاهلها. كما لا يمكن فى نفس الوقت تفسيرها إلا على محمل سوء القصد المتعمد لإخفاء الحقيقة... لصالح من ؟ ومن وراء ذلك... هم وحدهم - أى الجانب البريطانى - من يعلمون.

أما نحن.. فلا نعلم إلا شيئاً واحداً.... يمليه علينا التدبر العقلانى والمنطقى لأوراق هذا الملف الشائك... وهو أن أشرف مروان لم ينتحر بل قُتل... ولسنا نحن فقط من يذهب إلى هذا الاستنتاج الذى بات قناعة شديدة لكل المتابعين للملف... وأولهم هذا الرجل المجرى الجنسية... الذى قال فى أوراق التحقيقات ما يلى^(١):

كنا خمسة أفراد... نجلس فى انتظار وصول د. مروان للاجتماع معه... وحضرت لمقر الاجتماع قبل موعده بنحو الساعتين... فى تمام الساعة الواحدة والربع اتصل أحد الموجودين بالدكتور أشرف لاستعجاله... وكان هذا الشخص هو (عصام شوقى).. وبعد أن أنهى المكالمة مع دكتور مروان أخبرنا بأن الدكتور سيصل بعد

(١) وفقاً لشهادته الخاصة التى نشرتها جريدة صوت الأمة - القاهرة - من خلال الحوار الصحفى الذى أجراه معه الزميل أسامة خالد والدكتورة غادة شريف فى الفندق الذى نزل فيه بالقاهرة.... العدد ٣٦٤ - بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٣.

نصف ساعة... وكان بالحجرة شباك كبير... يقف أمامه عصام شوقى ينظر من خلاله للشارع... وفجأة صرخ قائلاً. انظروا ماذا يفعل دكتور أشرف مروان... أسرع نحو النافذة... وأسرع ورائى باقى الحضور فوجدت د. مروان يتهاوى طائراً فى الهواء... ليسقط من خلالها... فوجدت شخصين ينظران من إحدى النوافذ... واستمرا فى النظر إليه حتى استقر على الأرض بينما بقيا هما ثابتين مكانهما للحظات ثم اختفيا تماماً... الرجلان كانت ملامحهما مثل شرق أوسطية... أو من أبناء البحر الأبيض المتوسط... ولم أستطع أن أهبط من الغرفة لمتابعة ما يجرى بالأسفل... حيث كنت مصدوماً وفى حالة شديدة من الدهشة... بينما إثنان إلى الأسفل عصام شوقى... ومرت قرابة الـ ٤٠ دقيقة قبل أن أتمالك أعصابى.. وأغادر المكان... وتركت بياناتى الشخصية كلها لدى رجال الأمن المتواجدين بالمكان... وبعدها بخمسة أسابيع كاملة اتصل بى البوليس البريطانى لأدلى بشهادتى...

وعن شكل وطبيعة العلاقة التى ربطت الشاهد المجرى بأشرف مروان يقول:

كانت علاقة عمل عادية... وفأنا أعمل كباحث كيميائى... وأعيش فى المجر بشكل مستمر... وإن كان ذلك لا يمنعنى من التردد باستمرار على لندن... خاصة بعد تعيينى فى منصب مدير إدارة البحوث بشركة "يوبى كيم" العاملة فى مجال الأبحاث الدوائية والتى كان د. مروان يمتلك ٧٨٪ من أسهمها... وخلال فترة عملى بالشركة لم أرد أعرف مروان... أو يجمعنى به أى لقاء سوى لقاءات عمل محدودة... لكن فى فبراير ٢٠٠٧ جاء د. مروان إلى مقر الشركة فى المجر... وكنت مكلفاً بمرافقته طوال فترة إقامته هناك.. وفى هذه الفترة عرفته عن قرب شديد... وأكثر ما لفت نظرى فى شخصيته هو تواضعه الشديد... وكان بشكل عام ودوداً... ولطيفاً فى معاملة الجميع... واهتم بسؤالى عن أسرتى... وعند مغادرته للمجر... طلب منى أن أكون على اتصال دائم به... وكثيراً ما فوجئت به يتصل بى على فترات لسؤاله عن أحوالى... وأحوال أسرتى... ولا أعتقد إطلاقاً بأنه انتحى... فقد كان محباً حقيقة للحياة... يحمل الكثير من الأفكار... والخطط للمستقبل.. وكان متفائلاً دائماً بشكل يتنافى تماماً مع أية بوادر تدفع شخصاً مثله لينهى حياته بيده.

.. ملف العميل بابل ..

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

إلى هنا انتهت شهادة الرجل... الذى نتوقع أنه سيصبح هو كلمة السر فى هذه القضية والمفتاح الذى سيفتح باب قفص الاتهام لتخرج منه الحقيقة التى نعرفها جميعاً... قوية... واضحة وضوح الشمس... ويجلس بدلاً منها رجال أقدر جهاز مخابرات عرفه التاريخ (الموساد).

والخلاصة .. !!

بعد الأدلة السابقة لا مجال على الإطلاق لمناقشة احتمالى الانتحار .. أو القضاء والقدر .. فالرجل قُتل .. بتدبير وتخطيط كانا على أعلى مستوى على يد رجلين أغلب الظن أنهما يتبعان الموساد .. جهاز المخابرات التابع لدولة تقع على حوض البحر المتوسط .. ومعظم رجاله يحملون ملامح مواطنى البحر المتوسط.. وصاحب المصلحة الأولى فى تصفية رجل كانت مذكراته التى تكشف عجزهم .. وفشلهم .. على وشك الخروج للنور .. فكان لابد أن يموت الرجل .. ويذهب بغير رجعة بما يحمله من أسرار .. وبما يُذكرهم به - مادام على قيد الحياة - من عجزهم .. وفشلهم .. وقدرته على خداعهم .. وفى حالة التثبت من أن الموساد وراء مصرع أشرف مروان تبقى كل تلك الاحتمالات لتلقى للأسف الشديد بالمسئولية على عاتق الأجهزة المصرية وتظهرها بمظهر العاجز عن حماية واحد من أهم رجالها ..

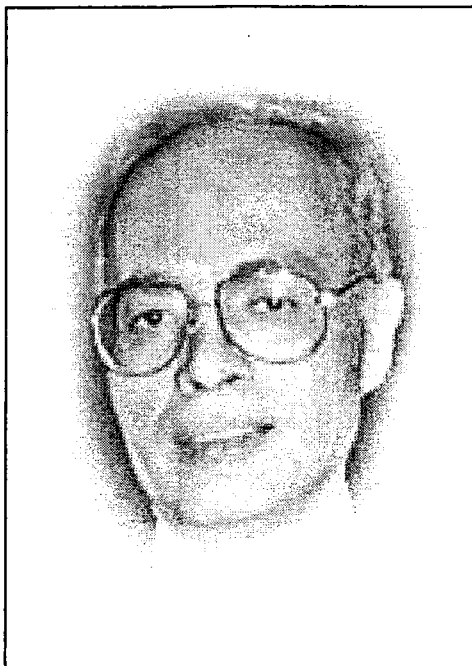
■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

خاتمة .. !!

وبالرغم من كل ذلك نقول أن الملف مازال يحوى الكثير من الأسرار.. وحتماً عندما يأتى اليوم الذى يخرج فيه الجانب المصرى ملف الرجل للنور، سوف يتمحى بلا شك الكثير من الغموض الذى كما قلنا فى البداية أحاط بـ "أشرف مروان" .. الرجل الأكثر غموضاً - لكن .. لأن الرجل لم يكن شخصاً عادياً .. وعاش حياة غير عادية .. كان لابد أن تكون نهايته متسقة مع أسلوب حياته وطبيعتها .. فمنذ أن ظهر أشرف مروان على مسرح الحياة العامة سار على حافة الهاوية .. باذلاً جهداً خرافياً .. للاحتفاظ بتوازنه بقدر الإمكان ..

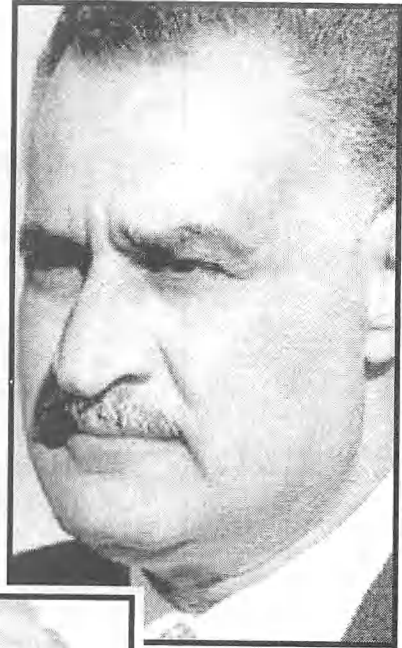
وفى ترى أى مصير ستختاره السلطات البريطانية لإغلاق ملف أشرف مروان؟ هل بالانتحار مثلما حدث فى واقعة الليثى وسعاد حسنى؟ أم ضد مجهول مثلما حدث فى واقعة على شفيق؟ هذا ما لا يعلمه أحد حتى الآن .. ولكن نتمنى ألا يكون مثل مصير سابقه .. فالرجل يستحق نهاية أخرى مختلفة .. مثلما كان هو نفسه طيلة حياته شخصاً آخر مختلفاً.



ملف الصور

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



أشرف بين الزعيمين اللذان ساهما بشكل كبير في صنع اسطوره

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



وعندما رأس الهيئة العربية للتصنيع



أشرف شاياً

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

أشرف ومنى ليلة الخطوبة



وعند الزفاف

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



الزعيم يهناها بالزفاف



ويلتقط بنفسه صورة زفافهما

ملف العميل يابل
أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



لحظة قدوم المولود الأول (جمال)

ملف العميل يابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



الزعيم.. والحفيد الأول

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

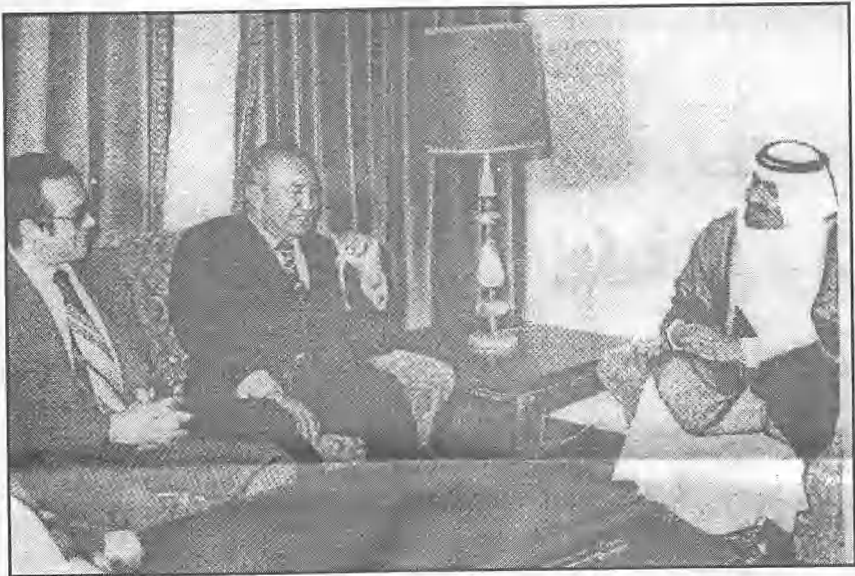
أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



أشرف مروان يلعب الزعيم دور شطرنج وباقي الأسرة يتابعون المباراة

== ملف العميل يابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



أشرف موفداً في لقاءات دبلوماسية

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



مع الرئيس السادات في بعض من هذه اللقاءات



أشرف في إحدى زيارته القليلة لضريح الزعيم عبد الناصر

انتهت أسطورة أشرف مروان قرار جمهوري بإقالته من هيئة التصنيع

صدر قرار جمهوري بإنهاء إغارة أشرف مروان إلى الهيئة العربية للتصنيع الضريبي ، ونقله إلى وزارة الخارجية .

كان أشرف مروان يتسقل منصب رئيس مجلس إدارة هيئة التصنيع العربية ، بعد أن أعير لها من وظيفته في رئاسة الجمهورية في ٢٢ مارس ١٩٧٦ . كانت إقالته إلى هيئة التصنيع العربية ، إعلاناً له من العمل برئاسة الجمهورية ، وقد كان يتسقل منصب سكرتير

الرئيس للمعلومات .

تحت إشراف في ذلك الوقت
الملك بالمرحلات ، وأمر الرئيس
السلطات بأن يتسقل أيضاً القس
العام الإسرائيلي من . كان موضوع
الانقلاب ثورة السيد فرقة أدري
رابعة في ناحية الهرم . وكانت
إجرائاته في التطبيق أنها لم تزل
تتبعه وقد استمر في العمل
سنوات تحت إشرافه من
لشركات عربية . ثم بعد ذلك
بوصولها كرئيسة الرئيس الراضل
جمال عبد الناصر . أن كانت عليه
الآراء بغير الكبر والشرع بالذين
الجميعه عليها الكبر . وقد كانت
التطبيق ما بين أفراد الشخصية
تكون ألفتها إلى هيئة التصنيع
بها . على أساس أن صله كان
من جهة الاتصال بعد من المخابرات
التي كان الرئيس السلطات
التي كانت عليه وصمام
التي كانت عليه وصمام



أشرف مروان

التي كانت الرسمية التي يتسقل
بها ، ورأسها المتسقل .
خلية الجهاز القسم ٢٢

• تم ليلة ١١ مايو ١٩٧٦ عهدا
عن المخابرات التي كان فيه
سكرتير سكرتير بومبا .
• صدر قرار بحل مجلس سكرتير
الرئيس لشؤون المخابرات . وفي
١١ فبراير ١٩٧٦ من سكرتير
الرئيس للاتصالات الخارجية .
• انتهت خدمته في رئاسة
الجمهورية وأحيل إلى هيئة
التصنيع في ٢٢ مارس ١٩٧٦ .
تعليق « الأخبار » :

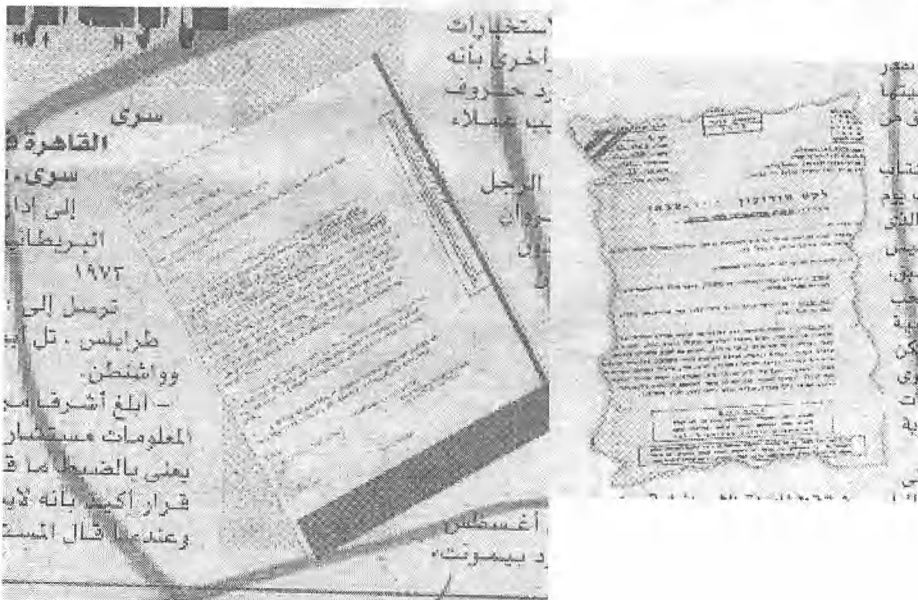
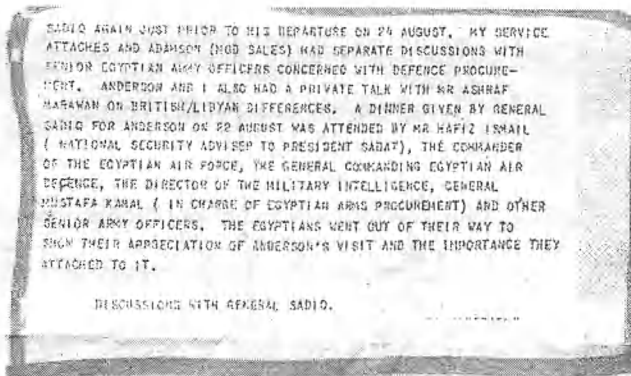
• اتخذ القرار الجمهوري
بإقالة أشرف مروان من
التصنيع ، وأكد لنا
أن هذه الخطوة جاءت
مصادفة جادة وحسنة
من شأنه في لا
سوء نظر
الجهاز

وكان يقضي لياليه في القاهرة ،

صورة زئكوغرافية لقرار الإقالة الذي نشره موسى صبرى في الأخبار

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



صور وثائق الخارجية البريطانية المشار إليها في الكتاب نقلاً عن جريدة الطريق القاهرية

■ ■ ■ ملف العميل بابل ■ ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



مدخل حديقة المنزل الذي لقي فيه أشرف مصرعه



رجال الشرطة البريطانية يحيطون بموقع الحادث بعد حدوثه

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



شرفة الشقة التي سقط منها أشرف

== ملف العميل بابل ==

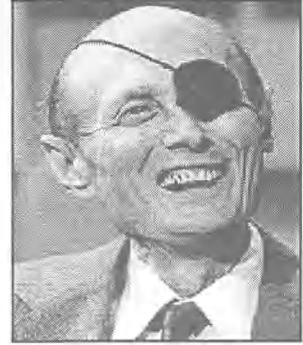
أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



أهارون برجمان الكاتب الإسرائيلي
الذي فجر القضية



جولدا مائير



موشيه ديان



إيلي زاعير على يمين الصورة ضابط الموساد الذي أخرج عملية "بابل" للرأى العام

يداعب أهارون برجمان ويربت على كتفه

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

أشرف مروان متهم بقتل هؤلاء .. فأين الدليل؟



سعاد حسني



الليثي ناصف



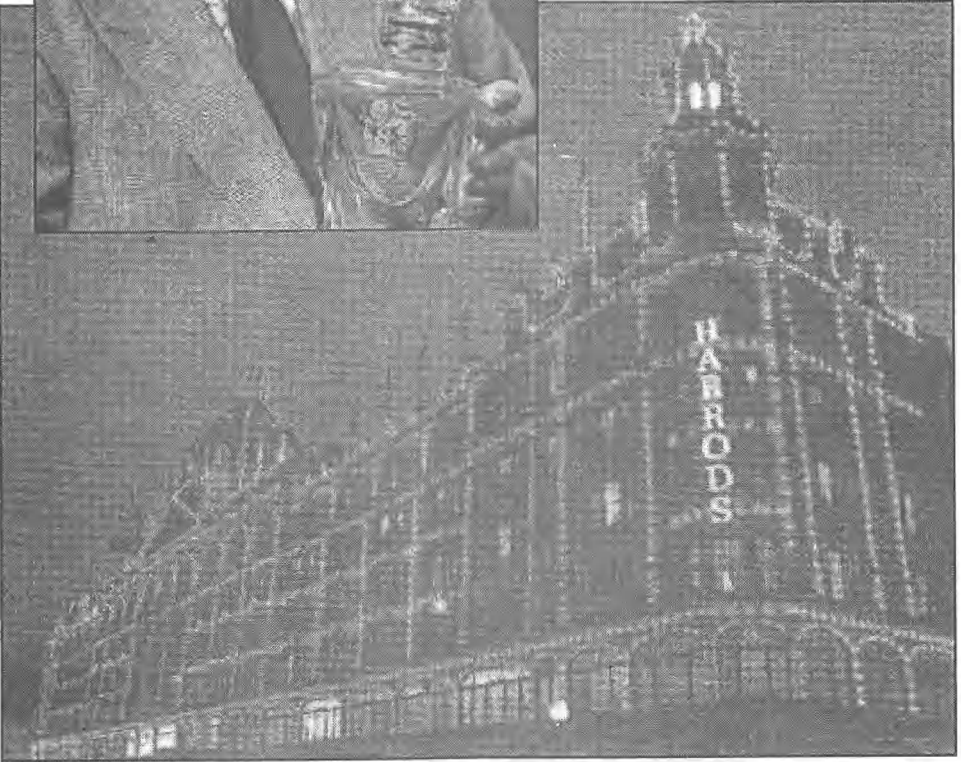
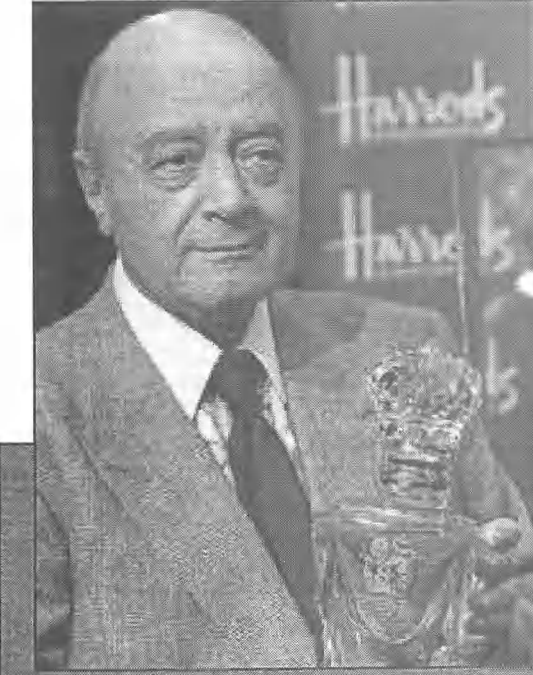
علي شفيق



دودي وديانا

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

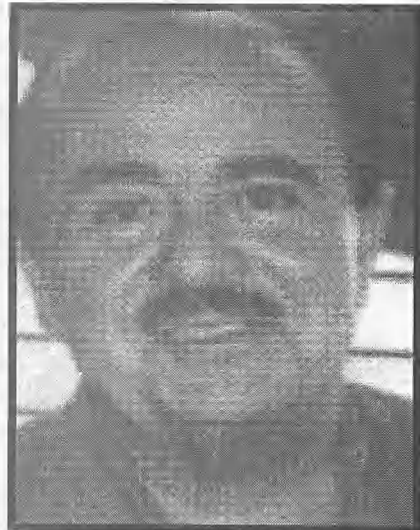


محلات هاردوز الشهيرة التي كانت أهم أسباب خلاف الفايد وأشرف مروان

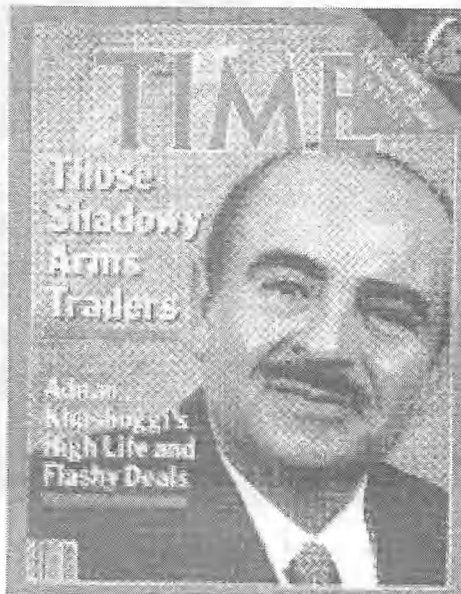
ملف العميل بابل
أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



حسن بلقبة سلطان برونادي



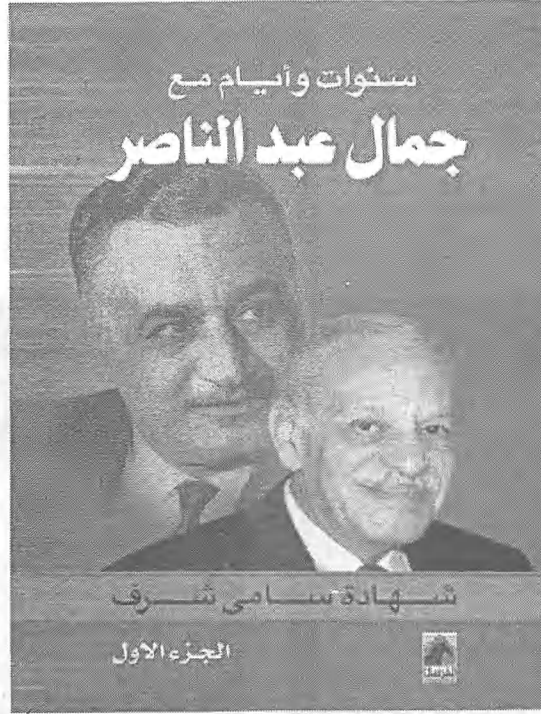
عدنان خاشقجي



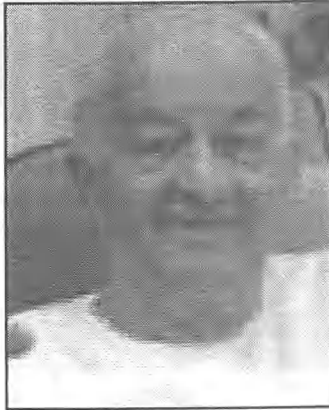
غلاف مجلة التايم الخاص بعدنان خاشقجي

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



سامي شرف وخلاف مذكراته التي تناول فيها جانباً كبيراً من حياة أشرف مروان



ومحمود جامع الرجل الذي تحدث كثيراً عن أسطورة أشرف مروان



جلال الدين الحمامصي أحد متزعمي حزب العائدين من الكهف

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



أول صورة تنشر للخدمة البلغارية التي
تتحفظ عليها السلطات البريطانية



عزة عبد الحافظ سكرتيرته الخاصة أكثر
من ربع قرن .. والتي أنهى خدمتها قبل وفاته
بأسابيع قليلة

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



فى المسجد... الجميع ملتفين حول النعش ويقرأون له القرآن



شيخ الأزهر يؤم جموع المصلين على الجثمان

== ملف العميل بابل ==

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



جمال مبارك يتقدم صفوف المشيعين ويبدو في الصورة منى عبد الناصر وشقيقها جمال



ويواسى منى عبد الناصر أثناء الجنازة.. ويبدو في الصورة شقيقها خالد جمال عبد الناصر

■ ملف العميل بابل ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



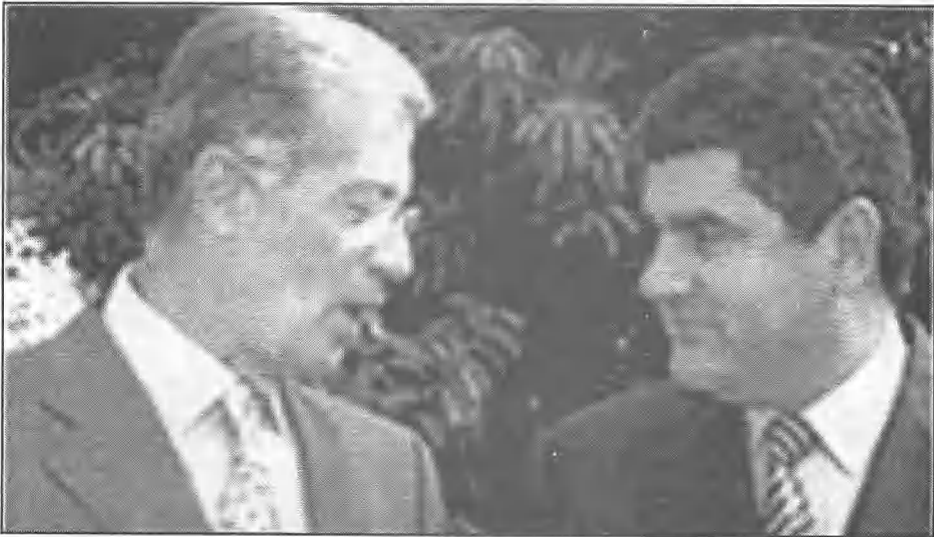
مشاهد عن الجنازة ويظهر في الصور ولداه جمال وأحمد وهما يحملان النعش

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان



آخر صورة نشرت لأشرف مع زوجته منى عبد الناصر



أشرف مروان مع ولده أحمد في لندن

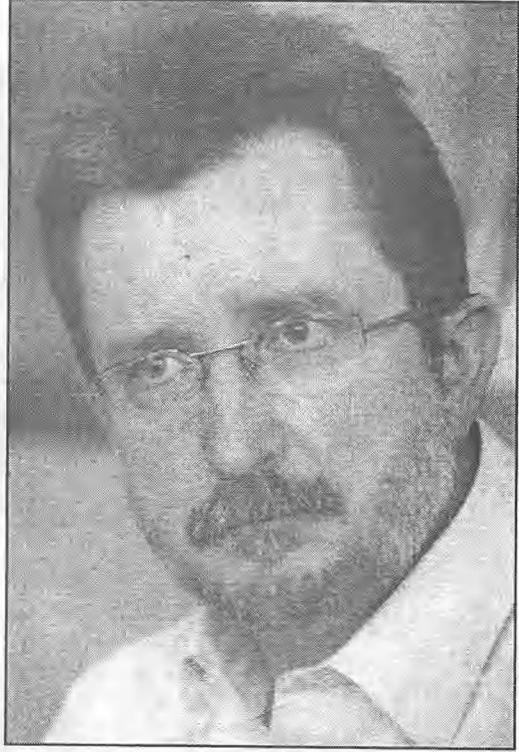


الصورة التي ما فارقت جيب أشرف مروان..
وهيها يقوم الرئيس السادات بتكريم أشرف
مروان ومنحه الوسام

ملف العميل بابل

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

بين عصام شوقي -- والشاهد المجرى تاهت الحقيقة !!



أهم المراجع

- ١- السادات الحقيقة والأسطورة موسى صبرى
- ٢- البحث عن الذات مذكرات الرئيس السادات
- ٣- عرفت السادات المذكرات الشخصية للدكتور محمود جامع
- ٤- سيدة من مصر مذكرات السيدة جيهان السادات
- ٥- مصر.. لا لعبد الناصر حسنين هيكل
- ٦- حوار وراء الأسوار جلال الدين الحمامسى
- ٧- من قتل الليثى ناصف عادل حمودة
- ٨- سنوات وأيام مع عبد الناصر المذكرات الشخصية لسامى شرف
- ٩- من يجروا على الكلام بول فندلى
- ١٠- حوار مع الفريق سعد الدين الشاذلى محمود فوزى
- ١١- وتحطمت الأسطورة عند الظهيرة أحمد بهاء الدين
- ١٢- تجربتى عثمان أحمد عثمان المذكرات الشخصية

دوريات ومترجمات :

- ١- دوريات صحفية (الأسبوع - الفجر - صوت الأمة - الدستور - روز اليوسف - الجريدة - روز اليوسف المجلة - جريدة الشرق الأوسط - الحياة اللندنية - الغد - المصرى اليوم - الطريق - الكرامة - العربى - أخبار الحوادث)

■ ■ ملف العميل بابل ■ ■

أسرار وخفايا مصرع أشرف مروان

٢- أرشيف معلومات "الأخبار - الأهرام"

كتب أخرى للمؤلف

١ - إلى أين يا عرب ١٩٩٥

٢- هكذا تحدث العقاد "قراءة في فكر العقاد الدينى"

تحت الطبع :

١- آلام الأنبياء "السمات النفسية والاجتماعية للأنبياء فى ضوء التحليل النفسى".

٢- على العطفى "جاسوس فى قصر الرئيس".

٣- أيام .. وليالى صدام.

٤- أوراق شمس بدران.

٥- لندن عاصمة الضباب والموت الغامض.

٦- حب .. وخيانة .. وموت .. فى بيروت !! "وقائع عمالة وإغتيال رئيس جمهورية لبنان بشير الجميل".

٧- حكم البيادة .. والسيف "مأساة مصر تحت أقدام الحكم العسكري".

٨- أشتاتاً أشتوت - مسرحية.

٩- وجه .. وجسد - رواية.

١٠- إيثار اللحظة .. وإيثارها - "مجموعة قصصية".

١١- مقهى ريش .. ذاكرة أمة.

١٢- مواعظ الشيطان "مأخذ الحكمة من أقوال إبنى مرة".

١٣- نجيب سرور "مأساة شاعر قتلته الخيانة".

١٤- ناجى العلى "الرجل الذى تفرق دمه بين الموساد .. والعرب .. ومنظمة التحرير الفلسطينية".

١٥- جاسوسة على عرش مصر "حلم كاميليا الذى أسقطته الوكالة اليهودية فى سماء الدلنجات".

١٦- التفاوض .. علم وفن.

١٧- صناعة الجواسيس.

فهرس الكتاب

- الإهداء 5
- هذا الكتاب 7
- مسلمات وحقائق .. • اليقين الأكبر.. • وسبق السيف العزل • وجهان للحقيقة.. • إصرار إسرائيلى غريب .. • بداية الأزمة .. • عندما خرج أشرف عن صمته .. • رواية بوليسية ساذجة.. • برجمان يرد.. • هل قتل أم انتحر • .. •
- تمهيد 15
- أشرف مروان .. بورترية 15
- سمات أشرف مروان الخاصة.. • أسماء .. وحكايات.. • " الرجل الغامض" .. "الطفل المعجزة " .. " الأسطورة " .. " الملياردير الصامت " • "الصهر" .. أو " العريس " والعميل بابل؟ .. • كلمة السر .. •
- الفصل الأول موعد مع القدر • 21
- موعد مع القدر • الجثة المجهولة.. • بعد أقل من ساعة • غموض الموقف.. • صفيح ساخن .. • الصدمة الأولى • بلا رفيق • بداية التعارف • بين الرهبة .. والخجل .. • فى بيت الرئيس • ثانى زواج رسمى • حكاية الشاطر أشرف .. علاقة متوترة .. • أشرف بعد رحيل الزعيم • فى مطار لندن • موت غير محدد الأسباب. تهديدات صريحة بالقتل • عمدة المصريين فى لندن • صدامات لا تنتهى • فى الخفاء • تصريحات رئاسية •
- الفصل الثانى "حكاية العميل بابل" 35
- لا مستحيل فى عالم المخابرات .. • مواصفات العميل المزودج .. • غموض الرؤية.. • أيهما نصدق ؟ • أشرف فى عيادة طبيب يهودى .. • لقاء السفارة الإسرائيلية .. • ثقة .. بلا حدود • جسر الثقة • مصادر ثلاث • ترشيح • خداع استراتيجى.. • احتمالات أخرى • كيف خرج من المطار؟.. • الضوء الأخضر • مغامرة غير محسوبة .. • من يصدقهم.. • بين النفى

فهرس الكتاب

والتأكيد .. !! • حكاية الملك حسين !! • أين .. ومتى تم تدريب أشرف !! • أوهام
الموساد !! • جاسوس فى قصر الرئيس !! • إعدام بالتليفون .. !! وقاحة وأكاذيب
العطفى !! • وأنقلب السحر على الساحر !! • ١٤٠٠ جلسة استماع .. !! • أشرف
يركب بساط الريح .. !! • ٢٤ ساعة مراقبة .. !! • وهبطت الصاعقة على رؤوسهم .. !!
• سيناريو مختلف .. !! • فى حياة ناصر .. فهل كان بتخطيطه ؟ !! • فى محكمة
العدل الإسرائيلية !! • لماذا تتركوه .. !! فيما بعد ؟

٦١ الفصل الثالث: "أشرف مروان .. صراعات وعلاقات"
• هجوم بلا توقف .. !! • والد أشرف مروان .. !! • علاقات خاصة .. !!
• جناحى الإمبراطورية .. !! • علاقات متداخلة .. !! • أشرف والسادات !!
• بوادر أزمة مايو !! سامى شرف يتحدث !! أشرف وحكاية خزينة عبد الناصر !!
• اتهامات باطله .. !! • حكاية سرقة المجوهرات !! • أشرف يتحدى الجميع !!
السادات يقول: أشرف الشخص المناسب .. !! • وموسى يصعد الحملة ضده .. !! • يوم
بكت منى عبد الناصر !! • السادات يعنف موسى صبرى !! • ويرد له إعتباره !!
• أين الإدارة الأمريكية ؟ • "مبارك" يستقيل .. والسبب أشرف !! • أشرف
فى لندن !! • الرجل المجهول .. !! • علاقته بتاينى رولاند !! • مروان والحكومة
الليبية .. !! • أشرف والفايد !! • الفايد يتهم أشرف بالعمالة للموساد • العدو
اللدود .. • السبب رولاند .. !! • سلطان برونائى .. !! • اتهامات الفايد .. !! • ٣٠
ألف كلمة اتهام ضد أشرف .. !! • فشل محاولات الصلح .. !! • صراعاته فى
مصر .. !! • علاقته ببرجمان !! • كانت مصر كلها هناك .. !! • وأصبح مروان
شخصاً آخر .. !! • عقدة ذنب .. !! • إلى بطل مصر .. !!

٩٣ الفصل الرابع: "آخر الرحلة"

• أحلى الأيام .. !! • تصريحات متأخرة .. • مبارك يحتضن أشرف !! • إنه هو .. !!
• دعوة خاصة !! • لندن مساء التاسع والعشرين من يونيو ٢٠٠٧ !! • كنت جندياً
أدوى دوره .. !! • أين المذكرات ؟ !! • فى سرادق العزاء !! • الإفراج عن الجثمان !!

فهرس الكتاب

• انتهاء الإجراءات .. !! • من لندن للقاهرة .. تفاصيل الرحلة الأخيرة .. !! • وضع استثنائي .. !!

103 الفصل الخامس إتهامات طالت أشرف مروان !!

• حكاية ديانا ودودي • حكاية الليثي ناصف • مبررات الإنتحار .. !! • عداء قديم • حكاية السندريلا • مبررات انتحار السندريلا .. !! • سر الموت الغامض بعاصمة الضباب .. !! • ضحايا آخرون • وعلى شفيق ..

111 الفصل السادس " أسئلة بلا إجابة " !!

• سر الصورة .. !! • لحظة السقوط .. !! • الليلة الأخيرة .. !! • من هو الزائر المجهول .. !! • لماذا لم يعد إلى مصر ؟؟ • موت غير واضح الأسباب .. !! • ليست مفاجأة .. !! • الإحتمالات الثلاث .. !! • الفرق بين الإنتحار والقتل .. !! • الفرق بين السقوط والإسقاط .. !! • سوء الأحوال الجوية .. !! • أين شرائط المراقبة .. !! • إحتمال الإنتحار .. !! • بين الرفض والتأييد .. !! • حكاية أجهزة التنفس .. !! • كيف انتحر ؟؟ • شهادة مرفوضة .. !! • الإنتحار مرفوض .. !! • هل قتلته عصابات المافيا ؟؟ .. !! • من يستطيع النفي أو التأكيد ؟ • أسرار صفقة اليمامة .. !! • رجل فوق العادة • " غموض مروان " .. !! • هل قتلته الموساد ؟؟ .. !! • لماذا الآن ؟؟ .. !! • إحتمال مرفوض • سر الخادمة .. !! • شكوك أخرى .. !! • تعطل كاميرات المراقبة .. !! • المفاجأة .. !! • ومفاجآت أخرى .. !! • والمفاجأة الأكبر .. !! • بين عصام شوقي .. والشاهد المجرى تاهت الحقيقة • خلف قضبان قفص الاتهام • الهدف هو الحقيقة • والخلاصة .. !!

136 خاتمة .. !!

137 الملحقات والصور !!

163 أهم المراجع

165 الفهرس